ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
إشترك بجروب ساحر الكتب
ليصلك كل جديد وحصرى

الطبعة 2

رواية

بن عزرا

محمد عكاشة

ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
إشترك بجروب ساحر الكتب
ليصلك كل جديد وحصرى

pA~åäEÇ=Aó=`~åpA~åäEê

إشترك بجروب ساحر الكتب

ليصلك كل جديد وحصرى

بن عزرا

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

الكتاب : بن عزرا
المؤلف : محمد عكاشة
تصميم الغلاف : إسلام علام
تدقيق لغوي : سارة صلاح
رقم الإيداع : 22267 / 2015
الترقيم الدولي : 978-977-778-007-0
الطبعة الأولى : 2016

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-02-35860372 011-27772007
Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
إشترك بجروب ساحر الكتب
ليصلك كل جديد وحصرى

pÅ~ååÉÇ=Äó=`~ãpÅ~ååÉê

بن عزرا

رواية لـ

محمد عكاشة

للنشر والتوزيع

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

إهداء إلى

روح الفنان / علي عكاشة

الأب والمعلم

وإلى فناني ال underground

إشترك بجروب ساحر الكتب
ليصلك كل جديد وحصرى

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

(1)

لم يكن المشهد في الباحة الخلفية للمنزل يروق كثيرًا للناظرين؛ قاتم، تناثرت على أرصفته أشجار تكاد تسقط على الأرض ساجدة من طول وقفتها في هذا المكان الموحش، لم يكن يضيء المكان سوى تلك الإضاءة الخافتة القادمة من المنزل تعكس ظلالًا لنوافذه العالية..

منزل يقبع على ناصية الطريق يغلب عليه القِدَم،أثري في الحقيقة.. الساعة تجاوزت نصف الليل بساعات، وعمَّ السكون المكان لايقطعه سوى صوت الهواء يحرك أوراق الأشجار التي تأفأفت من سقوط أوراقها على الأرض..

المذبح ممتلئ على آخره، ظلال رجالٍ يتشحون بالسواد، تغطي عباءاتهم نقوشٌ وعبارات كتبت بلغة غريبة بعض الشيء تختفي وجوههم تحت ذلك الوشاح القاتم، ينظرون في رهبة إلى امرأة مسلسلة تتلوى فوق سريرها الحجري المنقوش عليه عبارات كُتِبَت بماء الذهب،لا تختلف كثيرًا عن تلك النقوش على عباءاتهم .

ترانيم وصمت، وتلك المرأة تتلوي بجسدها العاري، الذي ملأته أوشمة النار والسلاسل وحروف لاتينية وصور لآلهة يونانية. كل شيء غريب قد تراه على جلدها العاري الناصع البياض المنسدل فوقه شعرها الأسود الداكن يتراقص عليها مع كل التواءة من جسدها .

ارتفعت الترانيم وامتزج بها صوت قيثارة يشد أوتارها رجلٌ ضخم البنيان لا يمتزج شكله مع هدوء نغماته التي بدت غريبة حتى على الترانيم العالية.

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

المشهد مهيب حقًا.. توقفت التراتيم قبل أن يتقدم رجلٌ إلى سرير تلك المرأة، تبع خطواته صوت قرع الطبول يصدح في أرجاء المكان.. أحكم قبضتي يديه على خنجره الذهبي المزيّن بتلك الأحجار الكريمة.اقترب من المرأة يتمتم بعبارت هرطقة واضحة للجميع،ارتفعت يده في الهواء قابضة على الخنجر قبل أن تهوى على صدر تلك المرأة ويسقط هو على الأرض..

لقد كان هذا الرجل هو أنا،ولكن الغريب في الأمر أني لم أسقط على أرض المذبح الرخامي بل احتضنتي تلك السجادة البالية التي اتسخت أطرافها وملأتها البقع الداكنة.. لقد كنتأحلم..

الاسم: يوسف سيد المصري

السن: 32 سنة

الحالة الاجتماعية: أعزب وكاره للزاوج.. ماقت عليهن إن أجدت التعبير.

المهنة: كاتب وروائي.

القوىالعقلية: سليم من وجهة نظري، غريب بنسبة 80 % للمجتمع.

بعد وصلة من السباب اللامتناهي موجهة إلى السجادة البالية ألومها على قذارتها وبقعها الداكنة.أرحت بظهري على جانب السرير الأثري الموروث من بضعة أجداد لو تتبعت نسلهم لوجدته يعود إلى أيّمن تلك الآلهة الواهية التي كانوا يعبدونها في قديم الأزل.. كنت دومًا أسميه سرير الإله رع، يمتد بجوانبة المصنوعة من خشب الزان وترتفع أعمدته فوق رأسي مجدولة، تنتهي بزوجين من الأفاعى جاحظة العينين، تنظر لي دومًا وكأنها تنتظر نومي حتى تلدغني وتشفي غليلها مني ومن طول لساني في سبابها هي الأخرى..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

رفعت جسدي عنالأرض.. ما هذا الوهن؟!! التقطت سيجارة.أشعلت فيها النار وكأنها عدو قديم أتلذذ بإحراقه.. صوت الموسيقى الغريبة التي اعتدت سماعها لا يمكن أن تميّز لها نوعًا: غريبة ممزوجة بكل الآلات الموسيقية تقترب كثيرا الى الموسيقى الجنائزية ترتفع وتنخفض ولكن المؤكد فيها أنها تجلعني في حالة خشوع وهمي، وكأني راهب في معبد.أستمع إليها بإمعان على الرغم من أني لم أفهم يومًا ما تعنيه.. تحمل إجلال مقطوعات "شوبيرت" مع عنفوان "بيتهوفن" وهدوء "عمر خيرت"، تسحب روحك إلى عصور الإغريق و اليونان حيث الفلسفة والطلاسم وكل تلك الأشياء المعقدة التي ننظر إليها بإجلال فقط لأننا لم نفهم نصفها، وقد تكون في الأصل مجرد شخبطة إنسان تافه على حجر ملقيّ نقشه في ساعة عراك مع زوجته:فالنساء دائمًا مصدر الإلهام..ومع مرور الزمن اكتسبت تلك الحجرة ميزة لتدخل ضمن حزام التقديس. وهي في الأصل مجرد شخبطة إنسان ماقت على زوجته ولعله فكّر حينها أن يقذفها به.

ما علينا.. ضوء النهار بدأ يغزو المنزل ذا الباحة الجرداء بلا رحمة، توغل إلى أركان الغرفة وانعكس على القرص المعدني المثبت أعلى السرير، لم يكن يقل حماقة عن تلك الأفعى المسلسلة لأعمدة السرير.. آه لو أعرف ماذا أراد صانعه بكل تلك الزخارف والأفاعي والنقوش.. لعله يكون سببًا في التوقف عن سبابه طيلة السنوات الماضية.

الوقت مناسب وبشدة لفنجان من القهوة مع سيجارة أخرى أثناء الاستحمام في المغطس التاريخي ذي المقابض الذهبية مع قليل من عطر الياسمين في المياه.. يااه إحساس النجومية في وسط العصور الجاهلية .

وصف بسيط للحمام: حجري- متسع - ومؤخرًا متسخ السقف مليء بالرسومات العارية وكأنها جزء من سقف كنيسة السستين لمايكل

pÅ~ãåEÇ=Aó=`~ãpA~ãåEë

أنجلو.ذلك الفنان الذي رأى في جسم الإنسان نوع من الفن صوَّره في كل أوضاعه كما خُلِق؛ عاريًا تمامًا!.. مجنون لكن عبقري, مثله مثل فنانى عصر النهضة قدس جسم الانسان حتى تعمق فى ادق تفاصيله لقد كانوا مشَرحين وليسو فنانين فقط .

عطر الياسمين ملأ المكان مخلوطًا برائحة التبغ .. جو رومانسي لا يليق الا باعذب !

انطلقت أدندن بأي كلمات تتماشى مع الموسيقى الغريبة التي أسمعها، طبعًا بكلمات أيضًا ليس لها معنى.

انتهى الوقت المحدد للاستحمام.. بداية جديدة ليوم رتيب.

ارتديت ملابسي بتأنق شديد على الرغم من أني أعلم أني لن أقابل شخصيات جديدة؛فأنا شخص يميل للوحدة، يعشق العزلة،أعز أصدقائي قلم ماركة barkerلا يقل عراقة عن ذلك البيت الأثريوكاميرا موديل نيكون dSLR.

وداعًا أيها المنزل، لن أراك إلا في المساء بعد يوم لا أعلم كيف سينتهي أو كيف سيسير.

مازلت في بحثي عن أي شيء قد يخدم روايتي الجديدة التي لم أضع لها عنوانًا بعد، ولكني اكتشفت أنها تسرقني، تشدني إلى أعماقها على الرغم من أني كاتبها، ولكن في الحقيقة كنت أشعر أنها هي التي تكتبني، تسير قلمي فوق الصفحات البيضاء لتسرد ما تشتهي هي أن تكتبه وما أنا إلا عبدها المسخَّر بإخراجها إلى النور .

أدرت محرك السيارة. ولتكتمل العزلة.أغلقت النوافذ وارتديت النظارة وكأني أهزم الشمس المتسللة إليّ.

الجو حار. يبدو أن اليوم لن يمر بهدوء.أكره الحر وأكره الشمس. وأكره الصوت العالي.. تبًا كم أكره أشياءً كثيرة!!

الطريق يكاد يكون خاليًا. مطعّم بتلك الحفر والمطبات وبعض الأطفال في طريقهم إلى المدارس والباعة الجائلين يبدأون يومهم في عرض بضاعتهم ثم تبدأ وصلة "الردح" الشهيرة تدليلًا عليها بعد أن أخفوا عيوبها بطرق فنية محترفة.

الاتجاه: مصر القديمة - الفسطاط - معبد بن عزرا .

أوقفت السيارة بمحاذاة الرصيف المقابل أسترق النظر يمينًا ويسارًا: بحثًا عن رجل مرور قاده القدر لسيارتي ليحرر لها مخالفة.. لا أعرف ولم أعرف ولن أعرف عن أي شيء يحررون المخالفات .

أكملت عبوري للطريق راجيًاألا يكون ذلك الحارس السمج عبوس الوجه الملقب بـ(عم سيد) متواجدًا: فمجرد رؤيتي له تجعلني أكره المعبد والرواية والمكان. وأظنه لا يبادلني نفس الشعور لعلي متحامل بعض الشيء على هذا السيد .

وجدته.. عم سيد في ملابس الحراسة الزرقاء والكتّافات المشرطة بخطوط صفراء. حاولت جاهدًا أن أعرف رتبته في الحراسة.. كبير حراس الحاخام؟!! ابن أخت بن عزرا وجد له وظيفة في بلد الكوسة؟!

استقبلني عم سيد بنفس الوجه المعتاد يوميًّا: صباح الخير يا دكتور، الأستاذة سامية مستنياك من الصبح.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

لا أعرف من أين أتى عم سيد بكل تلك القناعة بأني دكتور؟ أو أني لا أعرف أن سامية في انتظاري من الصباح الباكر كما هي عادتها: صباح الخير يا عم سيد.. قلتها وأنا أمسك فمي عن التفوه بأكثر من ذلك.

كفى اضطهادًا لعم سيد..

سامية ها هي تقف على مدخل المعبد تحمل ملفها المكتظ دائمًا بالأوراق التي اجتهدت طول سنوات معرفتي بها أن أعرف محتواها وكانت النتيجة دائمًا يابسة من الحياة ..

توصيف سريع لسامية: كائن ملائكي- 26 سنة - خريجة ألسن قسم لغات شرقية - تتحدث العبرية بطلاقة.

دائمًا يعتلي ثغرها الصغير تلك الابتسامة الكافية بسحب أي كائن بشري إلى رحلة بداخلها يخرج منها متعجبًا لأنه لم يفهم ماذا أرادت بها، ولكنه سعيد !

-صباح الخير يا يوسف،دايمًا كده متأخر مفيش فايدة.

- صباح الخير.. مستعدة لرحلة تانية؟

هزت رأسها توافقني وأنا على يقين بأنها حتى الآن لا تعلم ما هي الرحلة التيآخذها إليها كل يوم, فقط تتبع كل شئ يثير بداخلها التحدى او يجعلها تقترب اليه ولو بضع خطوات,

سامية تساعدني في ترجمة بعض النصوص العبرية الموجودة بالمعبد؛ فروايتي الجديدة تروي عن اليهود ومعتقداتهم الغريبة.. ليس هناك مكان أفضل من بن عزرا لكشف تلك الحقائق او لعله الوحيد المتاح !

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

بدلالٍ تقدمتني سامية تدلف من باب المعبد الصغير ليطل علينا بصرحه العظيم, دومًاما شعرت بأني طفل قد انزلق من رحم أمه على الحياة فور ولوجي إلى المعبد من ذلك الباب الصغير الذي يليه الصرح المعبدي المهيب.

المعبد مكون من دورين، كان قد خصص الجزء العلوي للنساء والسفلي للرجال.. رفع سقفه أعمدة رخامية تشكل صفين على اليمين، وعلى اليسار تنتهي بتيجان رائعة وكأنها صنعت لتبهر العابدين والزائرين، وتتوسط المعبد منصة الوعظ، تلتف حولها مقاعد المصلين يجلسون تحت فتحة السقف النافذة للضوء وكأنها مصدر روحاني يعطي للمكان قوته الروحانية بشكل لا يمكن ان ننكر فيه تأثير العمارة حتى على خشوعنا وصلاواتنا .. ما أقربه لذلك المعبد الذي يروادني في حلمي، مع اختلاف أن الضريح الشرقي هو دائمًا ما كان يتوسط المعبد.

بهدوئها المعتاد قالت: ها تحب تبدأ منين المرة دي؟!

في الحقيقة لم أكن أعلم.. نفس المعبد طيلة شهر نبشنا كل أركانه.وزواياه لا جديد حتى أكاد أن أتعلم العبرية بنفسي ولعل معظم الموظفين ورجال الأمن ظنوا أني من أهل المكان أو أني يهودي الأصل أبحث عن أصل أجدادي.

بنفس الهدوء: أي مكان تحبي تبدأي منه؟

بصراحة لم أكن مكترثًا حتى لمحت ذلك الباب الخشبي يقبع في أقصى شرق المعبد.. يبدو عليه الحداثة التي لا تتفق مع المكان، وبصفتي أسكن في منزل أثري. أصبحت خبيرًا في اكتشاف كل ماهو "فالصوه"" fake."

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

الباب لم يثير اهتمام أي من الزائرين ولا حتى سامية،نفس النقوش التي تغطي المعبد، نفس الكتابات وحتى نفس تناسق الألوان لم يكن يثير أي شبهة في المكان .

- إيه رأيك تترجميلي اللي على الباب ده.

- انه باب ؟!! قالتها سامية بتعجب وكانها لا تراه

- الباب ده اللي جنب التابوت.. لونه بني.

-يوسف أنا مش شايفة حاجة، بلاش هزار.. تعالى هترجملك باقي اللي على التابوت.

سحبتني سامية من يدي وكأنها تجر طفلًا لم يتجاوز عمره الثلاث سنوات.. ولكني مقتنع أن الباب موجود وبجانب التابوت وأن تلك النقوش قد رأيتها من قبل .

توجهت معها صوب التابوت الحجري، كانت تعلوه نباتات علها تعبر عن الصلة الروحية بين العابدين و الطبيعة من حولهم فكل الكائنات تربطها دوما صلة ما روحية اكثر من كونها مادية ، دومًا أجدها نضرة لا تزبل أبدًا لا النباتات فوق التابوت ولا الصلة .

بدأت سامية تترجم ما على التابوت من كتابات عبرية وعيناي لم تغفلا لحظة عن الباب الذي أراه وحدي.

(ارقد بسلام.. وابعث لنا روحًا من الخلود.. أنت البداية وأنت النهاية، لا حدود لروحك في المكان امتزج بعوالم الرب وأرسِل لنا تحيتك من العالم الآخر.. ليس الموت بالفناء وليس للموت أبدان.. اغمر بعبق روحك

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

الوجدان.. معركتك لم تنتهِ، أنت قائدها ونحن أتباعك في الحياة وفي الموت..)

توقفت سامية عن الترجمة وتغيرت ملامح وجهها، بدا عليها نوعٌ من أنواع الهزيمة،ذلك النوع الذي نصل إليه عند العجز في الوصول للهدف !!

-مالك يا سامية في حاجة؟!!

- لا أبدًا بس مش فاهمة اللي مكتوب.. مالوش معنى .

- مالوش معنى ازاي؟!! مش عبري ؟!

- لا عبري وده اللي محيرني، حروفه عبرية لكن مالوش معنى،مجرد شخبطة.

صمتُ وتركت سامية تتأمل تلك الحروف التي في نظري لا تختلف كثيرًا عن سوابقها ! لمحت في عينيْ سامية ذلك التحدي المهني الذي يهدد عرش مجدها اللغوي ممزوجًا بالتحدي الأنثوي .

سامية تتحدث العبرية بطلاقة، وتقرأها كواحدة من بني إسرائيل، حتى إنني لأكثر من مرة قد شككت في أمرها أنها يهودية الأصل وجاسوسة، وحملني خيال الكاتب لأبعد من ذلك بكثير.. سامية مادة خام لرواية جديدة.. بعد الانتهاء من روايتي المشئومة تلك.

- ها يا سامية.. وصلتي لحاجة؟!

رمقتني سامية بنظرة تحيرت في تفسيرها، تحمل فيها الكثير من المعاني، أرادت أن تقولإنها عجزت، ولكن تحاول إخفاء عجزها،انكسار مهني واضح في عينيها ممتزج بجبروت المرأة حين يعبث أحد في أعماقها .

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- لا للأسف مش عارفة.. ممكن تكون مكتوبة بلغة تانية بس بحروف عبرية أو منحدرة من أصل اللغة العبرية بس مش عبرية.. كان في موضوع زي كده أخدته في الكلية.. هنوصل متقلقش !

أي هبل.. سامية كانت تعلم عجزها "لن تستطيع ترجمة المكتوب "

- إيه رأيك لو تكتبيه وتبقي تبصي عليه في الهدوء واحنا بنشرب فنجانين قهوة؟

أماءت سامية برأسها موافقة وهي تنقل تلك النقوش في أجندتها الصغيرة.. نقشتها بأناملها التي رغبت دومًا في تقبيلها ، لا يمكن أن أنكر أني على الرغم من موقفي العدائي للمرأة إلا أني أحب الجمال.

أناملها البيضاء المسحوبة بدلالٍ، وأظافرها المنمَّقة تكتب بكل رقة تلك النقوش بخط أجمل عندي من الخط الكوفي الذي طالما أحببته.. أبعدت عن تفكيري كل الاحتمالات التي تدفعني لتقبيل يديها الناعمتين، تلك الأفكار قد تدفعني إلى طلب الزواج منها!!.. هي طبعًا لن تمانع فكنت أعلم أنها تحبني بل وترافقني في رحلاتي المجنونة لتكون بصحبتي , لا ضير من بعض الغرور احيانا , وكفا وصفاً فى انامل حتى الآن فقد اتمادى فى وصف أكثر من ذلك مما قد يدفعني حقا لارتكاب أكثر حماقات الحياة(الزواج).

قاطعني صوت سامية الناعم ليشدني من ذلك البئر الذي غصت بداخله وكأني هبطت فيه مسيرة ألف ميل وكأني أمضيت من الوقت أعوامًا فقط وأنا أتأمل فقط أناملها.. لا عجب أن عم سيد دومًا مهتم بوجودها من الصباح تنتظرني ولسان حاله يقول: يا مغفل حد يسيب القمر ده ملطوع كل ده .

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

- أنا خلصت كتابة.. ها هتشربني القهوة فين؟!

- أي مكان تحبيه.. في كافيه لسه فاتح في مدينة نصر شكله حلو إيه رايك؟!

- ماشي زي ماتحب.

أنهيت حديثي بابتسامة خفيفة وتوجهنا سويًا عبر باب المعبد الضيق تملأ رأسي أمورٌ لا حصر لها.

الباب العجيب،عجز سامية عن تفسير النقوش، ونظرتي التاملية لأناملها!.. وكل ذلك لم يمنعني من رمق عم سيد بنظرة قاسية حين تذكرت أناملها وحقده على انتظارها لي بالساعات.

مرَّ الطريق ولم يتحدث كلانا.. سامية تنظر بشغف إلى تلك النقوش، احمر وجهها وأنا أرى كل تلك التغيرات في ملامحها،الأمر أشبه بتغير قشرة الأرض بعد إحدى موجات تسونامي !

أنا أرقب الطريق وأرمي السباب على كل المارة من الأغبياء والهمج والباعة الجائلين وهم يتنافسون بأصواتهم الجهيرة متغزلين في بضائعهم الفاسدة بل وزاد الامر سؤ حينما قرروا ان يسجلوا اصواتهم العندليبية ليذيعوها فى مجاهرهم بدلا من ارهاق حناجرهم الثمينة .. مرَّ الوقت طويلًا قبل أن أوقف السيارة أمام **caribou**.

يبدو عليه الهدوء والرقي.. مكان مناسب لتناول القهوة وتدخين بعض السجائر بعد أن أشار منبهي الحيوي إلى نقص كمية النيكوتين في الدم.. مخي يستجدي حفنة من التبغ ملفوفة بعناية ومشتعلة بإتقان .

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

دلفنا إلى المقهى، هادئ مكيف راقٍ، يزين أعمدته تجاليد خشبية على الطراز القديم،الحوائط حجرية تبرز تجاعيدها إضاءة خافتة ويتوسط المكان حوض زرع بالأزهار مختلفة الأنواع والألوان، اخترت مكانًا على الواجهة الزجاجية للمكان تطل على الشارع، وبمجرد وصول القهوة زفها قلبي وكأنها عروس تهيأت للقاء زوجها.. تبعه إشعال السيجارة وكأنها مزامير الفرح .

- ها هتفضل ساكت كده كتير؟! قالتها سامية محاولة الهروب من نقوشها.

- لا أبدًا بفكر في شوية حاجات بس .

- طب قولي بتفكر في إيه يمكن أساعدك .

- أنا مقتنع 100 %إن شُفت باب جنب التابوت وانتي مصرة إن انتي مشوفتهوش .

وموضوع النقوش اللي مش عارفة معناه ده.

(طبعًا أخفيت موضوع الأنامل..)

- يوسف موضوع الباب ده لأنك تعبان وشكلك منمتش والنقوش دي هتتحل مش هغلب يعني

أنت مش عارف أنت قاعد مع مين.

قالتها ب 80 % دلع و20 % ثقة، ولكي أكون صادقًا كفتني نسبة الثمانين في المائة عن العشرين، لا يمكن أن أقاوم ذلك الجمال الرباني القابع أمامي،

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

خليط من الأنوثة والبراءة والدلع.. اللعنة !! سأنجرف ثانية لحبها.. توقف يا يوسف..

- طيب وصلتي لحاجة في النقوش دي؟!

- بص يا سيدي أنا هقولك الكلام اللي مكتوب.

(اشتخصر مندول بينشوب دينتي حامن دو استكثار منشق)

استقبلت تلك العبارات التيليس لها أي تفسير عندي، بفم مفتوح.. وبنسبة ثمانين بالمائة ليس لها تفسير عندها.

استكملت سامية هرطقتها بابتسامة:

- اللي فهمته من كل الكلام الفاضي(حامن دو)، ده كان حبر يهودي كانت جت سيرته كذا مرة في أكتر من كتاب قريته.. الراجل ده كان عايش في بريطانيا حوالي سنة 1808 وكان مشهور بنزعته الغريبة للسحر الأسود والكلام الأهبل ده واللي عرفته إنه اتقتل على إيد واحد اسمه (ألبرت فليمنج) في ظروف غامضة من بعدها اختفى الاتنين ومحدش يعرف عنهم حاجة .

أنهت كلماتها وانتهت معها سيجارتي التي ما لبثت أن انطفأت فألحقتها بالتالية.. تغيرت ملامح وجهي وأنا أرتشف جرعة من القهوة تودعها أعمدة الدخان المتصاعدة في حيرة لا تقل عن حيرتي.. ما علاقة هذا ال(حامن دو) بمعبد بن عزرا.. وما علاقة (ألبرت فلمينج) بقتل (حامن دو) وكيف وصلت تلك النقوش إلى التابوت بالمعبد؟؟!!! يا ربتك ماكنتي ترجمتي حاجة يا شيخة وفضلتي ساكتة.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

قاطعت رحلتي سامية:

- ها فهمت حاجة؟

- في الحقيقة اتلخبطت أكتر، إيه علاقة اللي انتي بتقوليه ده بالمعبد؟!

رفعت كتفاها علامة بالنفي.. يبدو أن تلك الرواية لن تنتهي بالسهولة التي أتوقعها ..

سامية يبدو عليها الإرهاق .

- يلا بينا أوصلك شكلك مرهقة النهارده نتكلم بليل بقى.

- لا أنت اللي شكلك مرهق مالك يا يوسف.. مبتنامش كويس؟

- بقالي كام يوم كده مش مظبوط بحاول أنام وأقوم على كوابيس كلها بتدور جوه المعبد المشئوم ده.

- يعني ده بس اللي قالقك؟ مفيش حاجة كده ولا كده .

كنت أعرف إلى ماذا ترمي تلك الشابة بدلعها المعهود وعلى الرغم من هذا تظاهرت بالجهل التام.

- حاجة تانية زي إيه؟

- يعني بتفكر في حد أخذ منك النوم مثلًا..

تمايلت في دلع وهي تقذف إليَّ بتلك الكلمات..اللعنة على النساء كلهن، لا يمكن أن تبدأ حوارًا مع إحداهن بدون أن تتطرق على صندوق ذكرياتك، تزيح بأناملها تراب الماضي، تخترق حواسك وتنساب بداخل كل تفاصيلك

pA~äåEÇ=Aó=`~ãpA~äăEê

لتكشف بابك الغامض..ولا يمكن أن أنكر أني كنت على أتم الاستعداد للإفصاح عن كل شيء.. الموضوع يعجبني كنوع من كسر الملل والرتابة في الحوار وأكثر منه استعداد لفتح هذا الصندوق الذي طالما دقَّ بجوانب نفسي وكأن بداخله ماردًا يريد التحرر.. ابتسمت نصف ابتسامة ومعها ابتسمت عيناي مدعيًا الخجل.

-لا خلاص بقى الكلام ده كان زمان معنتش بفكر في حد.

قلتها وأنا أعلم أن عباراتي كاذبة،مذاقها كالعصير الحامض أو ككأس من البراندي عتق منذ آلاف السنين.

- عليا يا يوسف ده عينيك كلها حب أهو.. عايز تقنعني إن أنت مبتحبش حد أوعلى الأقل كان في حد في حياتك وأنت لسه بتحبه؟!

الملعونة.. كسرت لتوّها قفل صندوق الذكريات، وضعت يديها على موضع الجرح الذي طالما حاولت أن أداويه ودائمًا ما كنت أفشل.. قصة حبي الوحيدة التافهة.

وكأن سامية في تلك اللحظة قد طعنت صدري بخنجر تناثرت الدماء من جرحه.. كم فكرني ذلك بحلمي الذي أطعن فيه قلب تلك المرأة المتلوية.

- لا أكيد كان فيه.. مفيش راجل محبش، بس دلوقتي خلاص يعني بقيت ببص للموضوع بمنظور مختلف خالص.

- منظور مختلف ازاي يعني؟! هتعيش لوحدك كده؟! جنة من غير ناس متنداس يا دكتور على رأي عم سيد .

فرصة للهروب من الحوار.. قاطعتها ضاحكًا:

- والله عم سيد ده راجل غريب مش عارف مقتنع إني دكتور ليه؟ حاجة غريبة جدًّا.

- متغيرش الموضوع.. ها احكيلي عنها.

قديمًا قالوا أن إصرار بنات حواء غلب إصرار إبليس نفسه في الإيقاع بالإنسان.. يبدو أنهن لم يتغيرن كثيرًا.

لا فرصة للهروب والنجاة بسفينة الذكريات المحملة بكل صفحات الماضي التي اصفرت أوراقها ورسخت أحبارها.

- ولا حاجة يا ستي.. واحدة حبيتها زمان أيام الكلية ومحصلش نصيب هي راحت لحالها وأنا رحت لحالي بس كده .

-أهي بس كده دي تخليني أعرف إن في كلام كتير أوي متقالش .

الوقت لا يمر.. سامية تزاد إصرارًا على إصرارها.. ما أجمله لو تصر على حل طلاسم تلك النقوش بدلًا من محاولة التعمُّق في ذاتي الواهية أكثر من ذلك.. لا أنكر أني تمنيت حينها أن يتحول (حامن دو) إلى شخصي لعلها تحاول أن تعرف عنه مثل ما تريد أن تعرف عني.

- انتي عايزة تعرفي إيه طيب؟ ده مجمل الموضوع.

- عايز أعرف حبيتها ليه؟ وسيبتها ليه؟ وإيه اللي خلاك أصلًا تحبها !

وبدأ التحقيق الصحفي.. في منظوري الخاص أسمّي هذا الأسلوب.أسلوب الأفعى.. تحاول الوصول إلى إجابة ترضيها أو على الأقل تستفيد بها لجذب عيني تجاهها التي هي في الأصل منجذبة فعلًا ولكن مقيدة وبشدة .

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

تحاول الوصول إلى ثنايا داخلي ليس حبًا لحبيبتي السابقة ولا شفقة على انتهاء قصة الحب تلك، ولكن لكي تستفيد هي منها في التعامل معي..

- صدقيني مش حابب أتكلم في الموضوع ده.. دي صفحة انتهت في حياتي وخلاص رميتها ومش عايز أرجع أدوّر عليها تاني.

جائزة أوسكار أحسن ممثل قد تُمنَح لي في تلك اللحظة عن دور الكذاب اللئيم.. فلا أنا نسيتها ولا أرغب في نسيانها، ستظل دومًا علامة في تاريخي حتى وإن توالت عليها كل ساميات العالم..لا يمكن إنكار أن تلك الكلمات كانت كفيلة لجعل سامية تتوقف عن العبث بأحشائي وتنفرج أساريرها؛ فقد تاكدت أن سابقتها قد اختفت من التاريخ.

- طيب خلاص زي ما تحب .

- يلا بينا بقى نمشي .

مرت دقائق وسامية تجلس جواري في السيارة دون أن تنطق بكلمة قبل أن تقول:

- عارف عنها حاجة دلوقتي؟!!

يالك من مزعجة!.. لن تتوقف عن الحديث عنها وهي لا تعلم أن مجرد ذكراها تثير كياني، تصيبني باضطراب كاضطراب الأمواج بشهر أكتوبر.

- لأ بقالي كتير أوي معرفش عنها حاجة، آخر حاجة كنت عرفتها أنها اشتغلت في حاجة كده تبع حقوق الإنسان.

قولتها بنية واضحة لإنهاء هذا الحديث وتقبلت سامية تلك الكلمات ولم تعقب.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

-ها.. وصلتي لحاجة في الكتابة دي؟

- لأ بس هبعتلك بالليل كتاب عن (حامن دو) احتمال توصل أنت برضو لحاجة.

- ماشي وانتي لو وصلتي لحاجة بلّغيني.

- حاضر..

كنا قد وصلنا أمام منزلها، ترجلت هي خارج السيارة وبهدوء ودعتني بابتسامتها الساحرة وأناملها الرائعة .

الوقت تعدى الظهيرة، نداء الواجب، جسمي يصرخ من أجل وجبة غذاء أُعِدَّت بحب فان كنت اكبح جماحه مع النساء على الاقل احصل فيه فى الطعام، هذا المضاد الحيوي الذي يحافظ علي واقفًا،أسمي تلك الوجبات السريعة كبسولات العذّاب.. من أجمل من (مرجريتا) في إعداد تلك الكبسولات.

الاتجاه: مطعم مارجريتا شارع عباس العقاد .

توصيف سريع لمارجريتا: الجسم الإيطالي الممشوق مزوَّد بعينين باريسيتين، تجمع بين روعة مسرح الكولوسيوم بدوراناته، وشموخ برج إيفيل في مزيج متحرك نابض بالحياة .

على أغلب الظن أن معظم مريديها يأتون طامعين في هذا المزيج الايطوفرنسي أكثر من أكلاتها الشهية.

طاولتي المعتادة في أقصى ركن من مطعمها الهادئ الذي تتخلله أصوات الموسيقي الباريسية تحمل صوت الرائعة "celine dion"

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

طلبي المعتاد: قطع اللحم الإيطالية بالصوص الإسباني الحار، ومجموعة من السلطات متعددة الألون.. حقيقي أن الالوان أهم من الطعم في مطعم مارجريتا! وطبق من الأرز المصري يتخلل تلك الأطباق، دخيل على هذه الأصناف الغربية، ولكني اعتبرته نوعًا من أنواع التقدير لمصر من وجه نظر مارجريتا .

باختصار: كل شيء مسموح لمارجريتا أن تفعله حتى وإن كان الطعام غير متناسق أو غير شهي.. نظرة من عينيها الزرقاوين كافية لتحويل أسوأ الأطعمة إلى أشهاها مذاقًا؛ فما بالكإن كانت أطعمتها هي رائعة بالفعل !

تناولت وجبتي وفمي هو الوحيد المتواجد في الواقع،أما عقلي فقد تغيب تمامًا سارحًا في كل تلك الغوامض التي ملأت رأسي؛ الكوابيس الليلية، الهرطقة العبرية على التابوت والباب الخشبي المنقوش، وأخيرًا ذلك الصندوق الذي فتحته سامية، صندوق الماضي وأسراره .

انتهت وجبتي دون أن أشعر بها ولا بمذاقها قبل أن تاتي إليَّ مارجريتا بنفسها بزهوها المعهود وصدرها الممتلئ وعينيها الزرقاوين، كل شيء فيها مثير.. لا أنكر رغبتي الجامحة في تناولها كما أتناول وجباتها.

ليس الآن يا مرجريتا.. العقل مزدحم مملوء بالأعاصير تضربه بلا هوادة ولا رحمة.

اقتربت مرجريتا منّي وبدأت في نطق عربيتها المكسرة التي أضافت عليها رونقًا خاصًا:

-جوزيف أنت ليه مش أكلت كويس النهارده.

- تسلم إيدك يا مرجريتا،الأكل رائع بس أنا تعبان شويتين النهارده .

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- ليه كده؟ألف سلامة عليك يا(جو) في برشام هايل لسه جايباه من إيطاليا معايا فوق تحب تاخد منه .

هنا تبسم إبليس؛ فليس له دور في ذلك الحوار، يبدو أن مارجريتا مهيأه تمامًا لا تحتاج أي نصائح من بني الجن.

تبسّمت قبل أن أغلق عليها كل الطرق المؤدية إلى روما .

- شكرا . أنا بدأت أتحسن، فنجان قهوة بإيدكي الحلوة دي وأنا هبقى تمام.

- زي ما تحب يا جوزيف.

بدأ الامتعاض على وجه جميلة الجميلات، كيف لي أن أرفض ذلك المزيج الايطوفرنسي اجتماع حضارات في كائن واحد.. طلبت لي القهوة بكل عصبية.. ليس أمر غضبها هو ما يعنيني الآن؛فلدي ما يكفي من الألغاز على أن أكتشف حلولها.. أخرجت من حقيبة ظهري كل تلك الصور التي التقطتها للمعبد من الداخل مرفقة بترجمة سامية عليها.. ها قد بدأنا.. حاولت أن أبحث عن أي شيء قد يدلني إلى ذلك (الحامن دو).. لا شيء على الإطلاق، كلها في نظري نفس النقوش الذهبية مرفقة بمعانٍ لا تختلف كثيرًا في جوهرها تتحدث عن البعث والخلود والسيطرة .

(ليكمل الأحفاد ما بدأه الأجداد.. ولتشرق الشمس على عروش الملوك.. توحدت الأكوان تحت راياتك ولا فناء لابتدائك)

كانت تلك إحدى الترجمات الموجودة على الصورة التي تحمل نقش قرص الشمس.. أين رأيته؟!! ليس في المعبد !!

pÂ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

ازدادت الألغاز واحدًا.. أين رأيت ذلك النقش.. لا بأس قرص الشمس ذلك هو آخر ما يمكن يؤرقني.

عبثًا أخرجت قلمي ال barker،وبضع صفحات بيضاء وحاولت الكتابة.. نوح هو بطل روايتي التي كرهتها قبل أن تنتهي بسبب كل تلك الألغاز التي أقحمتني فيها ..على كل حال بدأت أكتب:

(بعد أن وصل نوح إلى المحفل لم يكترث بتلك الضوضاء الصادرة منه؛ فقد اعتادها بعد مرور شهرين من انضمامه للمحفل.. برزانة شديدة ارتدى عباءته السوداء فوق ملابسه وعلق قلادته ذات الصليب المعقوف المصنوع من الذهب الخالص.. تقدم إلى صرح المعبد بخطوات ثابتة قبل أن ينحني إجلالًا لكبير المحفل الجالس على كرسيه المرتفع وزينت قمته برأس أفعى نفسها الموشومة على يده أيضًا.. تلك اليد التي تقبض على صولجانه الذهبي.. كان رجلًا مهيبًا حقًّا.. وقف نوح في آخر أحد الصفين الممتدين يمين ويسار كبير المحفل وبدأ يشاركهم ترانيمهم الخاصة..)

قاطعتني مارجريتا مرة أخرى وهي تحمل في يديها فنجان القهوة.

- اتفضل.. لو الصداع مرحش قولي هخليك تاخد البرشام غصب عنك.

شرسة مارجريت وصاحبة هدف.. ولولا انشغالي لكنت أعطيتها ما تريد..

قابلتها بابتسامة شكر باردة خالية من أي مشاعر.. لم يكن سهلًا على ملكة جمال مثل مارجريت تقبُّل كل هذا فانصرفت في عنفٍ تهز كتفيها غضبًا يشاركها الغضب باقي اجزاء جسدها .

الصديق الأوفى لفنجان القهوة لفافة تبغ.. لا يمكن تجاهُل مثل تلك العلاقات. علاقة الماء بالهواء والأرض بالسماء كذلك علاقة التبغ

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

بالقهوة.. أشعلت السيجارة وهدأت أنفاس القهوة التي ظلت تناديني أن أشعلها وكأنه طفل صغير لن يهدأ إلا إذا أعطيته لعبته..

سمر.. كان هو الاسم الذي ظلت سامية تبحث عنه طوال لقائنا.. أخذني سحر القهوة إلى تلك الذكريات محمولًا على بساط الدخان الكثيف المشبع برائحة النيكوتين المحترق مثله مثل ذكرياتي المحترقة .

نعم أحببتها.. لم أنسَ يومًا أني أحببتها، المرأة التي صورت لي حينها أن كل نساءالأرض مجتمعة في ذاتها، وأن صوتها هو ترانيم ملائكية تنزلت على البشرية.

وجهها الباسم، خفة ظلها، شقاوتها أحيانًا وكلمة أحبك تغادر ما بين شفتيها لم أذق أجمل منها حتى وإن قالتها لي كل نساءالأرض.

قصة حب من العيار الثقيلإن أجدت وصفها، استمرت طيلة سنوات الكلية.. مكللة بسهر الليالي وصوت حليم يدندن (بأمر الحب)، كل تلك الذكريات وهدايا أعياد الحب والزهور التي طالما حرصت على إحضارها لها مزدهرة وإن كلفني أن أستيقظ من الفجر لأحصل على أجمل الزهور وأحضرها لها يانعة فقط لأحظى بابتسامتها التي تحملني إلى أقاصي الأرض على بساط نسج من سعادة وطوي بحب.. رسائل عشق تتمعن في وصف رقتها لا أشك أن مثلها قد أحرقتها الآن هربًا من قوة كلماتها.. تلك الكلمات التي كلما تذكرتها شعرت وكأنها سوط جلاد يسلخ مشاعري دون رحمة .

تذكرت مشاكستها كطفلة صغيرة لتعبث بقلمي أو نبشها في أوراقي المكتظة.. كثيرًا ما غادرنا الكون كله حين تتلاقى نظراتنا يحملنا سحر كيوبيد على جناحيه ليعزلنا عن الكون بكل صخبة فقط (أنا وهي).

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

ونظرات أعيننا تبدأ حديثًا لا ينتهي ولو استمر ألف عام لما انتهى..

توقفت بي الذاكرة أو كبحت جماحها قبل أن تتذكر باقي الأحداث، لم أكن أرغب في الاستمرار بالغوص داخل نفسي أكثر من ذلك.. شعرت بدفء عيني حين تلألأت مقلتي بالدمع.. لا يجوز لي أن أدمع على مثلها !

كلهن سواء لا يستحقن أيًّامن تلك الذكريات وتذكرها وحده جريمة في حق نفسي بل ونقطة سوداء في سجل (كيوبيد) المهني.. ماذا عساه أن يفعل بعد أن فشلت سهامه في قصتنا لعله تحوّل الآن إلى تلميذ في أحد معابد إبليس؛فالحب لم يعد مستقبلًا مهنيًّا مضمونًا في تلك الأيام .

حملت نفسي التي أتعبتها رحلة الذكريات، وجمعت أشيائي المبعثرة وغادرت في صمت ..

الاتجاه: منزل آمون الاسم الحركي لمنزلي.

كان الظلام قد خيَّم على المكان، اصطحبه ذلك الصمت الرهيب لا يقطعه سوى صوت محركات السيارات المارة.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

(2)

اشتقت لسرير الإله رع.. نزعت ملابسي وغمست نفسي في المغطس الأثري، وبدأت أدندن بنفس الكلمات المجنونة لتتماشي مع الموسيقى الغريبة التي أسمعها .

ازداد مجون الموسيقى وارتفعت حدتها.. ترانيم؟!! لا أذكر أني اخترت في الـplay listموسيقى الترانيم.

الجدران تنزف!!! انسابت الدماء من شقوق الجدران الحجرية لتحول لونها إلى الحمرة، الدماء تنفجر منها كينبوع ماء تفجَّر في قلب صحراء يابسة ليروي عطشها. هرولت مسرعًا كما ولدتني أمي، أتتبع خط سير الدماء وهي تنساب تحت قدمي على أرض الممر الحجري وأنا أتتبعها بنظري، وصلت الدماء إلى آخر الممر، رفعت رأسي لملاحقة خطوط الدماء. بهو فسيح تزينت أعمدته برؤوس الأفاعي وازدحم المكان بذوي العباءات السوداء المنقوشة، التفوا حول مذبح يقف أمامه كبيرهم.. اعتلتني رعشة قبل أن أسقط مغشيًا على الأرض الغارقة في الدماء الترانيم من حولي تزداد حدة حاولت اكتشاف فحواها ويئست لم أسمع سوى تلك الهمهمات من حولي حين قطع همهمتهم صوت جهير صدح في أرجاء المكان (اشهدوا التاريخ على البعث العظيم.. حامي الأراضي وموحد الأكوان الحاخام الأعظم(حامن دو). اسم (حامن دو) جعل الرعشة تنساب في جسدي العاري، جاهدت لأرفع ثقل جفوني لأري ما يحدث.. رأيت وجهه.(حامندو) يقف مترأسًا الحشود من حولي، رمقني بنظرة جعلت قلبي ينتفض بين اضلعي قبل أن أجد فوقي ثلاثة من ذوي العباءات السوداء تخفي معالم وجوههم أوشحة

pÅ~ååÉÇ=Aó=`~ãpA~ååÉê

سوداء تدلت من عمائمهم العالية المسحوبة، يحاولون رفعيمن على الأرض الحجرية، قاومت بكل ما أوتي لي من قواي الخائرة.أدفع أيديهم عني وسقطت على الأرض وغطتني المياه !! ماذا جاء بها إلى هنا؟!!.. لم يكن سوى كابوس سخيف آخر أدركته حين قمت فزعًا من المغطس صارخًا بكل ما كان في صدري من هواء.. أظن أن أغلب ساكني الحي والأحياء المجاورة قد استفاقوا لهذه الصرخة .

الساعة تجاوزت العاشرة.. استغرفت نائم لأكثر من ثلاث ساعات !! لابد أن سامية قد أنزلت بهاتفي وابلًا من الاتصالات.. قمت أتحسس الطريق إلى غرفتي وأنا أرتدي ملابسي لا يمكن إخفاء نظرة الهلع التي ارتسمت على عيني حين وقعت على المرآة.. شاحب الوجه وكأن الدماء في جسمي هي التي نزفت في ذلك الكابوس.

التقطت هاتفي وصدق ما توقعت لدغت سامية هاتفي أكثر من ثلاثين مرة فسارعت بالاتصال بها .

-ألو.. سامية ازيك ؟!

قاطعتني سامية بكل حزم ممزوج بخوف شديد:

- أنت كنت فين كل ده يا يوسف؟! اتصلت بيك أكتر من مرة وأنت مردتش، أنا كنت هموت من الرعب عليك، وأنت عارف إن أنا قلقانة عليك من المتحف اللي أنت ساكن فيه ده.

-اهدي يا سامية أنا كويس مفيش حاجة.. كنت نايم شوية ولسه صاحي متقلقيش.

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

صمت رهيب.. يقطعه صوت أنفاس سامية المرتفعة وكأنها توقفت توًا عن الركض من مسيرة ألف ميل .

-ألو.. سامية سمعاني ؟!

- سمعاك يا يوسف الحمد لله إن أنت بخير.. أنا كنت بتصل بيك عشان أقولك إني بعتلك الكتاب مع البواب هتلاقيه في صندوق رسايل بيتك.

- طيب شكرًا معلش تعبتك معايا.

- العفو.. هشوفك بكرة؟!

- لاارتاحي انتي , أنا بفكر أريح شوية.

قلتها وأعلم أني بعد كل تلك الكوابيس سأكون أول الزائرين للمعبد.

- طيب خلي بالك من نفسك.

- وانتي كمان.. مع السلامة.

أغلقت الخط محاولًا استرجاع ذلك الكابوس، شكل (حامن دو) أي تفاصيل قد تفيد.. لقد خرج الموضوع عن السيطرة وعن كونه مجرد بحث من أجل رواية. كل تلك الكوابيس والألغاز أصبحت تؤرقني هل يمكن أن تكون تلك الرواية سحبتني إليها لهذه الدرجة؟!الدرجة أني أرى المعبد والترانيم وذلك الحاخام .

توجهت لصندوق الرسائل بالمنزل وأخرجت الكتاب.. غلافه أسود يتوسطه نجمة داوود السداسية على الرغم من انها عنصر مهم فى التكوينات العربية الا ان استخدامها الشائع كان لدى اليهود .

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

الكتاب بحالة جيدة مترجم إلى العربية.. لم أكن أعلم أن دور النشر تهتم بترجمة مثل تلك الكتب.

ما علينا.. أخذت الكتاب وأرحت ظهري على أريكة أُعِدَّت لاستقبال الضيوف، وبالطبع ليست غريبة عن البيت الأثري مصنوعة من خشب الزان، ومطعَّم ظهرها بالأصداف، تزيّن زخارف الأرابيسك عليه .

الصفحات الأولى من الكتاب ليست شيقة، تسرد قصصًا وحكاوي لشخصيات يهودية قديمة حتى وصلت للصفحة التي طوتها سامية.

[((حامن دو)) الشخصية الأكثر جدلًا في التاريخ اليهودي، لم يعرف له مكان ولادة ولا حتى نشأة، ولكن المعروف عنه أنه قدِمَ إلى بريطانيا في أواخر القرن الثامن عشر واستقر بها.. القليل من البشر، من رأوه فقد كان دائمًا يرتدي وشاحًا يغطي وجهه. اشتهر ((حامن دو)) بممارسته السحر الأسود مدعيًا أنه السبيل الوحيد لجمع شتات اليهود في العالم والسيطرة على كل مراكز القوى،واستقطب حوله العديد من اليهود المؤيدين لأفكاره، وأغلب الظن أنهم كانوا يخافونه .

استمرت جماعته في الاجتماع ليلًا عند منتصف الليل يرددون ترانيمهم وصلاوتهم المريبة.

قُتِلَ ((حامن دو)) في ظروف غامضة على يد (البرت فليمنج) عام 1808 ولا أحد يعلم كيف تمكن من قتله وهو الساحر العظيم الذي أذاق لندن سنوات من الخوف منه ومن أتباعه .]

لم يكن كلام الكتاب مختلفًا كثيرًا عن ما أخبرتني به سامية في الصباح.. كالعادة سامية باحثة جيدة عن كل ما يقربني إليها منذ أن تعرفت عليها في

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

إحدى المحاضرات بكليتها عندما دعيت للتحدث عن اليهود ومعتقداتهم الغريبة، وكانت سامية في أولى صفوف المستمعين والمستمتعين.تكتب كل كلمة أنطق بها باهتمام بالغ حتى فاجأتني في نهاية المحاضرة بأنها تود الحصول على رقم هاتفي لشغفها بتلك العادات الغريبة، وعندما علمت بأن روايتي الجديدة تحتاج إلى من يرافقني ويترجم لي بعض النصوص العبرية شعرت بأنها الفرصة المناسبة لتنقض على فيها..

لعل محركات البحث تفيدني في إيجاد أي من تلك التساؤلات التي ملأت رأسي وبدلت كياني، وعلى الرغم من نظرتي للتكنولوجيا على أنها شيء عبثي، اضطررت أن أكبح تلك المشاعر مؤقتًا لعلها تفيدني في بحثي عن ذلك (الحامن دو)..

كلام كثير عبث بكل اللغات التي أعرفها والتي لا أعرفها.. أخبرت نفسي لماذا لا أبحث بلغته الأم؟: العبرية ! لم تكن النتائج مختلفة كثيرة عن نظيرتها من اللغات نفس العبث.. لا شيءأبدًا، يبدو أن اليهود أنفسهم لا يعرفون(حامن دو) حق المعرفة .

الخيار الأفضل دائمًا في مثل تلك الأوقات.. فنجان من القهوة مضاف إليه نكهة صوت فيروز والكثير من التبغ.

(كيفك أنت..) الأغنية التي وددت دومًا أن أعرف إجابة عليها.. السؤال الذي طالما حيرني طيلة السنوات العشر السابقة وثلاثة أشهر ويوم وخمس ساعات.. كيفك أنت؟! يبدو أن ذلك الصندوق يأبى أن ينغلق ثانية؛ صندوق الذكريات الملعون.. وفي قديم الزمان قالوا عندما تتذكر شخصًا بقوة فإنه يأتيك، وكان القدر يتحكم في مصائركما لتلتقيا.. طيلة تلك السنوات ولم ينتبه القدر لي !!

pÅ~åÅEÇ=Aó=`~ãpA~ăäEê

من السفه تذكُّر تلك المواقف الآن فـ(نوح) مازال في المذبح محشورًا بين أوراق الرواية التي لا تنتهي.

قررت أن أتقمص دور القدر لأجعل قلمي يروي عن (نوح) وعن مذبحه..

(مازالت المشاعل تنير صرح المذبح العظيم.. والترانيم تعم أرجاء المكان تملأه بخشوع مصطنع ليدخلوا أنفسهم في تلك الحالة الروحانية التي تقودهم إلى الجنون.. اليوم هو اليوم الكبير لـ((نوح))؛ فسوف يتقدم بقدميه لكبير المذبح ليدين له بالولاء.. يتلمس بركته حين يمزج دماءه بذلك بالخمر القابع في كأس فخامته ثم يتجرعه دفعة واحدة يقبِّل بعدها يد كبير المذبح ويتجرد من كل ملابسه دليلًا على التجرد من كل مغريات الحياة.. ارتفعت الترانيم وبدأت نيران المشاعل، تنخفض ألسنة لهبها ساجدة .. إنه النداء الذي ينتظره نوح .

تقدم بهدوء نحو كبيرهم قبَّل الهرم الأعظم الموجود على خاتمه الذهبي قبل أن يمدّ يده اليسرى ليقطع بيده الأخرى عروقه لتنفجر بالدماء تتساقط بداخل الكأس الذهبي.

عليه أن يواجه آلامه وألا يفقد الوعي وألا يكون فقد المعنى الحقيقي لعظمة المذبح.. قاوم نوح آلامه وتجرع الخمر الممزوجة بدمائه كان مذاقها أشبه بصدأ الحديد أسوأ مذاق يمكن أن يتذوقه في حياته!.. عليه الاستحمال؛ فتلك اللحظة قد انتظرها لسنوات طويلة.. أخذ يخلع ملابسه حتى أصبح عاريًا تمامًا.

توجه صوب المذبح وهو يجر قدميه التي لم تقوَ على حمله، قد نزف كثيرًا من الدماء، استلقى على المذبح قبل أن تتوقف الترانيم، منتظرًا حكم الكاهن الأعظم على قبوله في منزلة (أهل الصنعة)إحدى المنازل المتقدمة

pA~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

في معبدهم.. دقت الطبول في انتظار حكمه حتى وقف الكاهن الأعظم على قدميه رافعًا يديه دليلًا على بدء خطبته الجلية.. في الحقيقة لم تكن سوى بضع كلمات:

((أنبئكم بأن الكواكب على اصطفاف وأن الأكوان قد توحدت لتقبل ترقية نوح بن شيما في منزلة أهل الصنعة)).

نوح بن شيما.. هو الاسم الذي أطلقه عليه المحفل حين أدَّى القسم الأول له فيه..

ارتفعت الترانيم مرة أخرى قبل أن يتوجه أحد المتشحين بالسواد، قابضًا على خنجر قد ألهبت النار نصله؛ فحولت لونه وأشعلت الحمرة فيه.. اقترب ليكوي جرح نوح وينهي آلام نزيفه.. تنهَّد نوح لحكمهم ليس فرحًا بقبول عضويته أكثر منه فرحًا بنجاته من الموت فعادات مذبحهم تنص على من يرفض عضويته يترك لينزف حتى الموت فقلبه ليس صادقًا وإنما ادعى انتماءه لجماعتهم..))

تكفي الكتابة عن نوح ومعبده المشبوه عند ذلك الحد.. فقد تجاوزت الساعة منتصف الليل.. وقت الذهاب لاحتضان سرير آمون، وما أشد اشتياقي إليه بعد ذلك اليوم الحافل.

الليلة مرت بسلام بدون مذابح، بدون دماء ولا نساء عاريات.

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

pÅ~ååÉÇ=Äó=`~ãpÅ~ååÉê

(3)

نفس الروتين اليومي في الصباح بين سبّ لسرير آمون والأفعى المسلسلة لأعمدته والحمام المعطَّر بالياسمن .

الاتجاه: معبد بن عزرا مصطحبًا معي كاميرتي، عاقدًا النية على تصوير الباب الخشبي الخفي فإن أخطأت عيناي لن تخطئ عدستها .

في الطريق، توقفني إعلان لإحدى الجمعيات الخيرية.

((حفل تقيمه جمعية أصدقاء الحياة، تستضيف فيه شخصيات من حقوق الإنسان)) ما جذبني لقراءة الإعلان هو فكرته الغريبة؛ فقد كان شعارهم هو حبل متشابك يشبه لحد كبير حبل المشنقة.. كيف يكون شعار أصدقاء الحياة ذلك الرمز!!.. رأيته مبتذلًا ومنافيًا لكل أساسيات الحياة، وطبعًا لم تفلت تلك الجمعية من وابل السباب الذي انساب من فمي.

على مشارف المعبد رأيته بنفس الثياب الزرقاء ((عم سيد))

- صباح الخير يا عم سيد.

- صباح الخير يا دكتور.. أومال أستاذة سامية مجتش يعني النهارده..

قالها مبتسمًا.. حاولت أن أمنع نفسي من الرد عليه بأسلوب غير لائق احترامًا لسِنّه.

- لا أنا جاي لوحدي النهارده.

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

أكملت طريقي إلى الداخل عبر ذلك الباب الضيق المطل على الباحة الرئيسية للمعبد.. في علوم العمارة يعتبر الانتقال من مدخل ضيق إلى غرفة واسعة نوعًا من أنواع الفنون لأنها تضفي على المكان نوعًا من الهيبة والروحانية .

التابوت الحجري.. نفس النقوش التي سأمتها.. الباب الخشبي ليس موجودًا !!! سد على رؤيته التابوت الحجري لقد تحرك من مكانه يبدو ذلك واضحًا على الأرض،علامات الخربشة على الأرضية الرخامية تبدو واضحة.. لقد حاول أحدهم إخفاء ذلك الباب الخشبي الليلة الماضية.. لست وحدي من يراه وإلا ما كان حرك التابوت ليخيفه.. اصطنعت الاهتمام بالنقوش الموجودة عليه رغم أني كدت أن أتذكرها غيابيًّا محاولًا أن أنظر خلفه لعلّي أرى شيئًا قد يساعدني في فهم ما يدور حولي!

الشمس تنفذ من النوافذ العالية للمعبد تلقي بظلالها على الأرض وتنير الجزء العلوي من التابوت .

رأيته!! الباب الخشبي محصور بين الجدار والتابوت يفصل بينهما بضع سنتيمترات مكنتني من رؤية الضوء النافذ من ورائه.. يمكنني التفريق بين ضوء الشمس الساقط والضوء النافذ منه ينير بقعه من الدماء يبدو عليها الحداثة.. خبرتي في عالم الكوابيس المختلطة بالدماء تخبرني بذلك.

دلفت خارجًا من المعبد وأنا على أتم الاعتقاد بأن أمرًا قد دُبِّر في الليل.. عقلي يملؤه الحيرة التي تزداد يومًا بعد يومٍ.. لم أنتبه لعم سيد على غير العادة .

بمجرد وصولي إلى السيارة دق هاتفي.. صديق قديم يتصل بي: (أمين مدكور) زميل دراسة التهمه الزمن ليختفي بعد أنقرر أن يبدأ حياة جديدة

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

في فرنسا وأنسته الحياة ما كان بيننا، فأصبحت لا أسمع صوته إلا في المناسبات..إن تذكَّرها !

-آلو.. أيمن.. ازيك واحشني جدًّا و واحشني صوتك.

- ازيك يا(جو) إيه اخبارك ؟

- تمام الحمد لله.. فين أراضيك دلوقتي؟

- أنا لسه راجع مصر بقالي شهر.. ونفسي أشوفك جدًّا.. يا ترى هعرف؟

- طبعًا يا أيمن.. ده أنا لو ورايا مية حاجة ألغيها عشان خاطرك .

-طب مادام كده، أنا كنت بتصل أعزمك على حفلة الليلة هتعملها جمعية أصدقاء الحياة، أنا المنظم للحفلة دي يا ريت تيجي.

السؤال عن جمعية أصدقاء الحياة درب من الخبل؛ فقد رأيت الإعلان منذ قليل واصطنعت درايتي بالجمعيات فلم أبدِ أي دهشة، وعلى الرغم من اختلافي مع شعارهم فقد قررت أن أذهب فقط لأرى زميل دراسة سابق .

-الساعة كام ؟

- الساعه 8 في مقر الجمعية بمدينة نصر.

- تمام هاجي.. أشوفك هناك.

أغلقت الهاتف مع أمين وأنا أسترجع ذكرى آخر حفلة حضرتها كانت من حوالي سنتين؛ فالحقيقة لم تكن حفلة بالمعنى المعهود ؛ فقد كان احتفالًا أقيم لتوقيع روايتي السابقة.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

على الاستعداد لذلك الحفل

قليلٌ من التأنق لن يضيرني في شيء، والكثير من الهروب بعيدًا عن الرواية قد يفيد .

الاتجاه: مصر الجديدة - فرع GUCCI،المكان المناسب لشراء بدلة تليق بالحفل .

(حسام الدين منصور) أحد الأصدقاء القدامى، يبدو أن معظم أصدقائي حملوا لقب صديق قديم بجدارة.

(حسام)خرّيج كليةالتجارة، يعمل بالفرع أظن أنه تم ترقيته الآن فأصبح مديره .

- صباح الخير.. أستاذ حسام موجود؟

- اتفضل يا افندم أقوله مين؟

- يوسف المصري.

أومأت موظفة الاستقبال بابتسامة هادئة قبل أن تتجه إلى غرفة المدير.. كما توقعت حسام أصبح مدير الفرع .

- مش ممكن يوسف المصري مرة واحدة .

(حسام) شاب في بداية الثلاثين من عمره، طويل، أسمر ومفتول العضلات، لم يتغير شكله كثيرًا منذ آخر مرة رأيته فيها سوى من ذلك الغزو التتاري في شعره الذي تساقط معظمه .

- حسام.. واحشني جدًا إيه الجمال ده متغيرتش يا راجل !

pÅ~åãÉÇ=Aó=`~ãpA~ãäEë

- طول عمرك ذوق يا يوسف.. تعالى اتفضل نشرب قهوة سوا، عارف اللي أنت اللي لسه بتحبها.

- لا أنا مستعجل شوية.. أنا جايلك النهارده عايز أشوف البِدَل الجديدة.

- نويت تعملها ولا إيه يا (جو).

النية الخبيثة ارتسمت على وجه حسام.. يرمي بكلماته على نفس المخطط الفاشل: (الزواج).. ابتسمت قائلًا:

- لا لسه بدري.. عندي حفلة بليل عايز أستعدلها .

- اتفضل يا يوسف.. المكان كله تحت أمرك ومدير المكان كمان .

اصطحبني في جولة بداخل الفرع بأدواره الثلاثة.. لم يلفت انتباهي شيء: جميع البدل تتشابه فيما بينها عدا اختلاف ألوانها.. لم أكن خبيرًا في هذا الذوق وكثيرًا ما طلبت النصيحة من حسام؛ فهو أكثر خبرة مني في تلك الشئون.. إسدال أسود نُقِشَ نسيجه ؟!!! ماذا جاء به إلى هنا ؟!! يشبه إلى حد كبير تلك الأسدلة التي تراودني في منامي.. دفعني الفضول للاستفسار عنها .

- حسام إيه الحاجات دي؟

- دي يا سيدي طلبية جديدة لسه واصلة بقالها اسبوع.. لزوم الحفلات التنكرية والحاجات دي.

حسام يكذب.. كان هذا واضحًا على ملامح وجهه الأسمر.. هناك سبب وراء تلك الأسدلة ليست لحفلات تنكرية مهما حاول أن يقنعني بذلك.. خاصة أن موضعها في المكان ينم على أنها غير مؤهلة للعرض ..

pÂ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

حاولت الانقضاض عليه قبل أن يراوغني بدهاء الثعالب.

- هي الحفلة اللي أنت رايحها دي تنكرية؟!

- لا أبدًا بس شدني شكلها..

-طيب تعالى هوريك حاجة لسه جاية امبارح هتعجبك جدًا.

جذبني حسام بعيدًا عن صف الأسدلة. ولكن لم يستطع أن يجذبها من عقلي الذي دفعني للتساؤل.

- وعلى كده في حد بيشتريها؟

-يا راجل بقولك لسه جاية من اسبوع.. أنت في مصر مش كل يوم حفلة تنكرية يعني !

أومأت برأسي بعد أن استطاع أن يهرب ذلك الثعلب المكار من أسئلتي..

وبذكاء أدار دفة الحوار لتعود إلى مرماها مرة أخرى .

-ادخل جرب دي هتبقى حلوة عليك..

قالها وهو يدفعني إلى غرفة تبديل الملابس.. كان محقًا؛ البدلة تبدو أنيقه لا يشوهها إلا شيء واحد: لحيتي التي تخللها الشيب. كنت في الواقع أعتبره نوعًا من الوقار لكن لا مانع من أن أنمقها قليلًا.. قبل خروجي من غرفة التبديل قررت أن أبتاع واحدة من تلك الأسدلة مدعيًا أني مدعو على حفلة تنكرية بعد أسبوع عند أحد الأصدقاء الذين لا يعرفهم حسام بالطبع .

pÅ~åÅEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

تغيرت ملامح وجه حسام كثيرًا حين أخبرته برغبتي بشراء إسدال أسود مزخرف، وسرعان ما انهال عليَّ بالأعذار بأنه لا يتوافر مقاسي، وأن الكمية محدودة وقد حجزت كلها، ولكن تلك المرة لن يهزمني دهاؤه.. أمام إصراري على طلبي لم يكن من حسام إلا أن انصاع لطلبي . وظفرت أنا بالإسدال، شعرت حينها بأني أقبض على قطعة من الأحجار الكريمة لا أعلم ما فائدتها، ولكن تحضرني قوتها وهيبتها .

ودَّعت صديقي القديم بابتسامة متلصصة من خلف جدار القلب، قابلها بابتسامة لا تختلف عنها كثيرًا.. مسحت عرقي الذي ملأ جبهتي بعد ذلك الحوار الدسم وكأنني خارج من ساحة المعركة ظافرًا بغنيمة.

باقي من الزمن أربع ساعات حتى موعد تلك الحفلة،أحتاج فقط لساعة لكي أرتب مظهري قبل الانطلاق.. لا مفرّ من مارجريتا اليوم وطبق لحمها الحار الذي ينافس حرارتها..

استقريت خلف طاولتي محاولًا الهرب من نظرات مارجريتا منتظرًا كرات اللحم .

على الرغم من مرور اليوم عاديًا بالنسبة لكل الأحداث التي أعيشها مؤخرًا، كان قلبي غير مطمئن لتلك الحفلة وكأن أحدًا قد أخرجه من مستقره واعتصره بيده حتى أنفد دماءه ثم أرجعه إلى صدري خاويًا هزيلًا يتمنى لو يتوقف عن النبض .

الطعام سيء إلى أقصى درجة، ووجودي في هذا المكان أكثر من ذلك يجعله أخطر من وجودي في قلب بركان (فوجي) باليابان.. لست مستعدًا لسخافات مرجريتا اليوم، لذلك حملت نفسي بهدوء وخرجت من الباب الخلفي للمطعم وكأني لِصٌّ سرق بعض الطعام وهرب .

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

ازداد قلبي اعتصارًا كلما اقترب موعد الحفل وازدادت لهفتي له حتى عجزت عن التفكير في أي شيء سوى أن عقارب الساعة لا تمر وإن أشد الأصوات ضجيجًا هو صوت عقرب الثواني وهو يتحرك ببطءٍ شديدٍ.. كان أحرى بصانعي الساعات أن يسموها سلاحف الساعة بدلًا من عقاربها.

استوقفني وجود رسالة في صندوق البريد.. من النادر أن تأتيني رسائل،أغلب ما يكسر وحدة صندوق البريد تلك المجلات الإعلانية التي لا تخلو من الكثير والكثير من النفاق.. فتحته بعد أن أزحت التراب المتراكم عليه وكأنه موضوع في الصحراء وسط عاصفة رملية.. ظرف أصفر اللون طُبِعَ على أقصى يمينه رسمة لأفعى الكوبرا تستقر على أعلى قمة هرم محاط بهالة من الضوء.. الرمز يبدو مؤلفًا فقد أصبحت حياتي كلها تملأها تلك الأفاعي،أقربها على سرير آمون بمنزلي.. ماإن استقريت على أريكتي حتى فتحت الظرف لأخرج منه قصاصة صغيرة من ورق البردي طويت ثلاث طبقات رغم صغرها.. كانت تحتوي على جملة قصيرة ((احذر مما هو آتٍ))..تبع تلك الجملة إمضاء صغير مكوَّن من ثلاثة حروف (نوح).

نوح !!.. دومًاكنت أعلم أني أمتلك ثباتًا انفعاليًا لا مثيل له، ولكن وقع تلك الحروف كان بمثابة مطرقة هوت فوقيّ من ارتفاع ثلاثة آلاف قدمًا لتسحقني على سطح سندان حديدي.. حاولت أن أتمالك نفسي بكل ما أوتي لي من قوة.. لابد أنها مزحة سخيفة،أخبرني عقلي بذلك وقلبي يأبى أن يصدق تخاريفه.. أي مزحة تلك التي تجعل شخصًا يرسل إليَّ بتلك الكلمات ومن أين أتى باسم نوح؟!!.. اصطحبت الورقة معي إلى الحمّام وظللت أتامل خطها، لا شيء يبدو غريبًا في طريقة الكتابة، قلبتها بين أصابعي مرارًا وتكرارًا لعلّي أتوصّل لشيء قد يطفئ شغفي المزوج

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

بالغضب.. رفعت الورقة عاليًا لتصل إلى مستوى نظري بعد أرحت رأسي على جانب المغطس.. هناك نقوش زينت إطارها الخارجي يمكنني أنأراها بوضوح، كتبت بخط ذهبي يمكن رؤيته في ضوء المصباح المتدلي من سقف الحمَّام.. أسرعت منتفضًا من الماء بدون تركيز عصبت خصري بمنشفة كانت معلَّقة إلى جواري وهرعت إلى غرفة مكتبي وأضأت المصباح.. بدأت أرسم تلك النقوش وكأنني فنان يتمعن في رسم محبوبته.. نقوش ليس لها أي معنى غير أنها تحمل كثيرًا من الحروف العبرية مختلطة بأخرى لاتينية وفرعونية على حد علمي الضئيل بأشكال الحروف..

من غيرها سامية تستطيع فك طلاسم تلك الكلمات؟!! رفعت هاتفي وحاولت الاتصال بسامية.. هاتفها مغلق..

اللعنة على الحظ عندما يعاند الشخص، حينها تشعر وكأنك في وسط عاصفة في عرض البحر تحاول أن تنجو بحياتك وليس معك إلا لوح خشب تخرمت أحشاؤه.

الساعة السابعة ونصف،لقد بدأت أتأخر على الحفل.. ارتديت البدلة الجديدة، وبدون أي نوعٍ من التأنق غادرت المنزل متوجهًا إلى مقر جمعية أصدقاء الحياة ملبيًا دعوة (أمين) شيء ما كان يدفعني للحضور أكثر من (أمين) وأكثر حتى منْ رمز جمعية أصدقاء الحياة المثير للسخرية.. شيء سحري يجعلني أرغب في تجاوز كل السيارات العابرة حولي والمتباطئة أمامي.. في تمام الساعة الثامنة والنصف، وصلت إلى مقر الجمعية،المقر عبارة عن villa بدا عليها القدم تم ترميمها لتتناسب مع وظيفتها الجديدة كجمعية لأصدقاء الحياة التي أجهل تمامًا ما هي أنشطتها.. أضيئت الأنوار لتزين الحديقة المحيطة بالفيلا وعلقت الزينات في كل مكان وأغلب الظن أن كل معرفتهم بالزينة هو ذلك الحبل الملفوف حول نفسه فأي مكان

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

تنظر إليه لابد أن تقع عيناك عليه.. تقدمت عابرًا الباب الرئيسي للدخول وبدأ بحثي عن صديق الدراسة القديم (أمين مدكور) لمحته واقفًا على أقصى يسار البهو المرتفعة أعمدته تزينها تيجان ذهبية تضيف إلى المكان لمحة كلاسيكية أوروبية.. لم يتغير (أمين) كثيرًا، مازال عابس الوجه غائر العينين اللتين تعلوهما نظارته المستطيلة، يقف بتأنق شديد حاملًا في يمناه كأسًا من عصير البرتقال.. رآني ورأيته فتوجهت إليه باسمًا لغرض محاولًا تناسي كل ما أنا فيه..

-أمين.. ياه يا أمين متغيرتش زي ما أنت دايمًا شيك.

- يوسف إيه اللي جرالك وإيه الشعر الأبيض اللي في دقنك ده.. عجزنا ولا إيه؟

قالها أمين ضاحكًا.. ذكّرني بشيبتي التي نسيت أن أواريها بأيٍّ من تلك الصبغات السوداء.. قابلت نقده بابتسامة هادئة.

-سيبك أنت من دقني، أنت عامل إيه طمني عليك؟ وإيه حكاية الجمعية دي؟

- ولا حاجة يا سيدي.. لسه راجع من فرنسا الشهر اللي فات.. الحياة هناك روعة بس قررت أجي أستقر هنا شوية.. واتعرفت على (رشا) مديرة الجمعية هنا، شوية شوية عرفت تجيب رجلي.. اتخطبنا من أسبوعين ومن ساعتها وأنا مهتم بيها وبالجمعية .

-ألف ألف مبروك يا أيمن.. كده من غير متقول لحد ؟!

- الله يبارك فيك.. كانت حاجة كده على الضيق عقبالك.. ولا لسه مضرب عن الجواز؟

pA~åäEÇ=Aó=`~ãpA~äăEê

يبدو أن النبش في الماضي أصبح هو عادة المصريين هذه الأيام.. حتى أمين يرغب في التعمق بداخلي، حاولت أن أنهي الطريق عليه:

- إن شاء الله قريب.. هسيبك أنا لضيوفك بقى وهكتشف المكان لوحدي.

- ماشي.. هشوفك ولو احتجت حاجة أنا واقف هنا مش همشي.

أومأت برأسي موافقًا على كلامه قبل أن أعطيه ظهري وأبدأ رحلة التأمل في جمعية أصدقاء الحياة.. من بين الحاضرين كانت (هي)!! لا يمكن لي أن أنسى هذا الوجه حتى وإن مرت عليه ملايين السنين.. أغمضت عيني لعلي أتوهم رؤيتها.. لست أتوهم أنها هي لم يتغير فيها شيء، نفس الوجه الحسن والعود الممشوق؛ (سمر) !! حاولت أن أستجمع قواي التي خارت مجرد أن رأتها أو بالأحرى شعرت بوجودها في هذا المكان قبل مجيئي إلى هنا بساعات.. ذلك يعطي تفسيرًا منطقيًّا لعصرة قلبي طيلة النهار.. هل أكلمها؟! هل أترك الحفل وأرحل؟! في النهاية اتخذت طريقي أشق صفوف الحاضرين..

باضطراب شاب في أواخر العقد الأول من عمره حين يلاقي فتاته التي يبحث عنها، الفتاة التي ظنَّ حينها أنها تلك المرأة التي سوف تشاطره كل أيامه، ويعلم من داخله أنها لن تكون سوى صفحة صفراء في تاريخه المطموس ملامحه.. اقترب منها، تيبست شفتاي قبل أن أنطق وتنعزل الأصوات من حولي وأغوص في بحرٍ من الدوامات لتقذفني أميالًا بعيدًا عنها فيخرج صوتي كصراخ مكتوم كدت أنا نفسي أن أسمعه.

(مكنتش متصورإني هشوفك النهارده)

رمقتني بسهم من عينيها كادت قدماي تذوبان من تحتي، اعتلتني رعشة جعلتني أفقد كل حواسي الخمس التي أعرفها والتي لا أعرفها قبل أن تعود مؤشرات الحياة إليَّ وأسمع صوتها الذي لم تمرّ عليَّ ثانية دون أن يتردد فيأذني:

(ازيك يا يوسف.. فرصه سعيدةإني شوفتك هنا)

وكأن الشتاء قد حلَّ بصواعقه لتضرب كل خلية حية في جسدي النحيف ولتنخفض درجة حراره جسمي إلى ما دون الصفر على الرغم من حرارة الجو.. مرت ثوانٍ معدودات سردنا فيها سنوات وفراق وضعف وانتصار فقط حين التقت أعيننا بعد كل تلك السنوات.

انتهت النظرات سريعًا حين تحدثت سمر وكأنها تنتشلنا من الثقب الأسود شديد السواد الذي سحبنا إلى أعماق نفس كل منا (طيب خلينا نشوفك.. مع السلامة)

كانت تلك الكلمات كافية لتوقعني على ظهري فاقدًا الوعي بل وتسحب منّي روحي التي ظننت للحظات أني استعدتها.. تمتمت شفتاي (وانتي كمان خلينا نشوفك مع السلامة) خرجت الكلمات من فمي وكأنها ربطت بمائة حبل تمنعها من الصعود على طرف لساني الجاف، ولكنني قلتها وانتهى الأمر وهي قالتها ومضت !.. بعد كل تلك السنين قالتها ومضت مرة أخرى!

لم يكن من المتوقع أن يمر الأمر هكذا بعد كل تلك السنوات، ألقت سمر بكلماتها واختفت بين الحشود.. مارست هوايتها المفضلة: الاختفاء .

سمر ذلك الكائن التي تجمع فيه جبروت النساء وذكائهن، تلك التي عصفت بمشاعري طيلة سنوات دراستي في الكلية، تذوقت معها كيف

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

رمقتني بسهم من عينيها كادت قدماي تذوبان من تحتي، اعتلتني رعشة جعلتني أفقد كل حواسي الخمس التي أعرفها والتي لا أعرفها قبل أن تعود مؤشرات الحياة إليَّ وأسمع صوتها الذي لم تمرّ عليَّ ثانية دون أن يتردد فيأذني:

(ازيك يا يوسف.. فرصه سعيدةإني شوفتك هنا)

وكأن الشتاء قد حلَّ بصواعقه لتضرب كل خلية حية في جسدي النحيف ولتنخفض درجة حراره جسمي إلى ما دون الصفر على الرغم من حرارة الجو.. مرت ثوانٍ معدودات سردنا فيها سنوات وفراق وضعف وانتصار فقط حين التقت أعيننا بعد كل تلك السنوات.

انتهت النظرات سريعًا حين تحدثت سمر وكأنها تنتشلنا من الثقب الأسود شديد السواد الذي سحبنا إلى أعماق نفس كل منا (طيب خلينا نشوفك.. مع السلامة)

كانت تلك الكلمات كافية لتوقعني على ظهري فاقدًا الوعي بل وتسحب منّي روحي التي ظننت للحظات أني استعدتها.. تمتمت شفتاي (وانتي كمان خلينا نشوفك مع السلامة) خرجت الكلمات من فمي وكأنها ربطت بمائة حبل تمنعها من الصعود على طرف لساني الجاف، ولكنني قلتها وانتهى الأمر وهي قالتها ومضت !.. بعد كل تلك السنين قالتها ومضت مرة أخرى!

لم يكن من المتوقع أن يمر الأمر هكذا بعد كل تلك السنوات، ألقت سمر بكلماتها واختفت بين الحشود.. مارست هوايتها المفضلة: الاختفاء .

سمر ذلك الكائن التي تجمع فيه جبروت النساء وذكائهن، تلك التي عصفت بمشاعري طيلة سنوات دراستي في الكلية، تذوقت معها كيف

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

يكون الحب، ثم فجأة.. اختفت بكل برود حتى أبرد من قمم جبال الهمالايا.. أنهت قصة عشقنا بكلمتين فقط ((مفيش نصيب)) قتلتني بنصل صدئ، تركتني أنزف ولم تبالِ بأي جرح.. انطلقت لتحيا حياتها دون أي معوقات، تحولت إلى امرأة أكره حتى ظلها، تغيَّر كل شيء فيها.. منعت نفسي من أن أتطرق إلى حياتها، حاولت أكثر من مرة أن ألفظها من داخل رأسي كما لفظتني من أعماق قلبها.. ولكن فشلت، ما زلت أتأثر حين يُذكَر اسمها فقط.. كيف لامرأة أن تجمع كل تلك الصفات معًا: العشق، والجبروت، والقتل بدم بارد. موقفي معها اليوم فجَّر صندوق الذكريات البالي؛ فتناثرت شظاياه تنغرس في كل جزءٍ من جسمي.. كانت هي من عبث بالصندوق الذي طالما حاولت أن أبقيه بعيدًا عن أيدي العابثين.. انطلقت معها كل شحنات الغضب والفرح صراع دار بداخلي مازالت تلك المرأة في عرشها العاجي تتخيل نفسها (إيزيس) مع فارق الإخلاص..

فـ(سمر)لم تمضِ سوى بضعه أشهر، وكانت بين يدي عاشق غيري، ويبدو أن النهاية كانت مكللة بالزواج..

بدا ذلك واضحًا حينما رأيت خاتم الزواج في خنصرها الأيسر..

أصبح المكان ضيقًا لا يسع كل أفكاري وكل ثوراتي الداخلية ولا حتى عشقي المجنون لـ(سمر).. قررت أن أبتعد عنها قدر المستطاع.. كم تمنيت أن آخذ أول تذكرة لأي مكوك متجه إلى (بلوتو) لعلي أصطدم بثقب أسود يحملني إلى أطراف المجرة بعيدًا عنها يرحمني من عشقي ومن كرهي..

تركت المكان دون أدنى اهتمام لـ(أمين) وضيقه منّي بسبب مغادرة حفله، آخر ما يشغل بالي.. لا أعلم كيف وصلت إلى بار siècle بهذه السرعة، رغبتي في الهروب منها دفعني لدهس دواسة البنزين من تحت قدمي عابثًا

بمنظمي المرورو إشارتهم الغبية.. عابئًا بكل تلك المخالفات التي حررت على الورق المختوم بشعار وزارة الداخلية.

في بار siècle كل شيء متاح.. تسب تلعن تدمر كئوس الخمر من أمامك ما دمت في النهاية سوف تدفع ثمن أفعالك!.. مع كأس الخمر الثالثة كنت قد دمرت أمامها نصف دستة من الكئوس.. أحتاج إلى شخص يخرجني من ثورتي يضمد جراحي المتناثرة في أرجاء جسدي من الداخل.. أحتاج لعملية ترميم أكبر من عملية ترميم قصر البارون نفسه.. لا مفر من (سامية)... أظن أني في احتياج لأسمع كلمات الحب من تلك الملاك لأعلم أن(سمر) لم تعنِ ولن تعني لي شيئًا، مجرد صورة من ماضٍ لا يستحق حتى أن أتذكره .

أقنعت نفسي أن (سامية) هي الدواء حين التقطت هاتفي.. مع كل دقة من دقات الهاتف يوازيها ضربات في قلبي حتى أجابته (سامية):

-ألو.. ازيك يا يوسف

- ازيك يا سامية.. كلّمتك من شوية كان تليفونك مقفول.

- معلش كنت نايمة شوية.. مال صوتك ؟

دائمًا ما تستطيع كشفي كجهاز كشف كذب مثبت في عقل إنسان .

- هو أنا ينفع أشوفك دلوقتي ؟!!

- يوسف الوقت بدأ يتأخر.. قالتها بتردد وأعلم تمامًا أن عقلها يجهز لما سوف ترتديه لي اليوم .

-محتاج أتكلم معاكي.. هعدي عليكي كمان نص ساعة .

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

- طيب في إيه قولي.

- لما أشوفك هقولك.

أغلقت هاتفي وليس عندي أدنى علم ماذا سأقول لها؟!!

بعد نصف ساعة كنت أمام منزل سامية وجدتها تنتظرني في الشارع.. جميلة كالعادة بل أكثر من العادة متأنقة بثوب أسود كاشفًا ظهرها وقد عقدت نهايته على رقبتها المشوقة المنسابة في دلالٍ لتلتحم بجسدها في سيمفونية رائعة.. حتى إن حلها كانت أشد منها رقة؛ بسيطة هادئة يتدلى من رقبتها عقدها اللؤلؤي الأبيض ويزين أناملها خاتم ذهبي رفيع كانت قد روت لي عنه أنه هدية من والدها بمناسبة نجاحها في الكلية.. تقدمت بخطوات هادئة تصحبها فرقعات كعب نعلها العالي لتستقر بجواري، وكأن ملاكًا قد هبط من السماء ليجلس بجانبي.. كان ذلك كفيلًا بأن ينسيني سمر وحفلة أمين والظرف الغريب.. كل شيء.. مع ابتسامتها وكأنها القمر في تمامه.

خرج صوتها رقيقًا كعادته:

- مساء الخير يا يوسف.. اتأخرت ليه؟

- الطريق كان زحمة شوية.. تعرفي إن دي أجمل مرة أشوفك فيها.

- قصدك إني مكنتش طول الفترة اللي فاتت دي عجباك.

وانطلق السباق!! اليوم تنوي سامية دفعي لطلب يدها للزواج.. يبدو ذلك واضحًا في عينيها وبنسبة أكبر واضحًا في عيني .

- انتي طول عمرك جميلة .

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

احمرَّ وجه (سامية) خجلًا.. غير معتادة منّي على مثل تلك الكلمات.. معذورة لم تعرف أني اليوم في أبهى حالات حبي لها، بل اليوم وُلِدَ حبي لها؛ فقد عرفت حق المعرفة من الأولى بكل سنوات حرماني العاطفي باحثًا وراء أشباح أحبس مارد الماضي حتى كاد أن يقتلني من الداخل.. شكرًا لسمر لأنها اوضحت لي حقيقة الحياة.. جبروتها أنبت في صدري قلبًا جديدًا لا يعرف لحبها طريقًا ولا ينبض باسمها بل على أتم الاستعداد لأن يعطي كل ما عرفه البشر من عشق لفتاة غيرها.. ولكن ما يحيرني، هل سامية هي تلك الفتاة؟!! ماذا لو صدمت فيها؟!! ماذا لو كانت متجبرة أخرى في مملكة النساء. أدرك في تلك اللحظة أن عليّ أن أحافظ على المسافة المناسبة بيني وبينها لا اعطيها كل الحب فتمتلكني ولا أمنع عنها بعض دفقاته فتيأس مني!

مريض نفسي من الدرجة الأولى.. هكذا صنّفت نفسي بعد حواري الصغير مع النفس..

أمضينا الطريق في هدوء.. دون أن يتكلم أحدنا.. كل منا يداعب أفكاره.. كيف سينتهي لقاء اليوم لكن المؤكد أنه لن يمضي بسلام.. بدا ذلك واضحًا على سامية وهي تداعب خصلات شعرها المتدلي على جبهتها لينشر عطره في المكان.. قاطعت سامية بفضولها المعتاد:

- ها.. مالك بقى في إيه؟

حتى الآن لم أكن أعرف بماذا سأخبرها عن سبب مكالمتها ليلًا طالبًا منها أن ترافقني.. الحل السريع في تلك الأزمة هو إخبارها بشيء يزيد حمرة وجنتيها.. حتى أتدبر خروجًا من ذلك المأزق..

- عادي.. وحشتيني وكنت عايز أشوفك..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

نجحت الخطة! ليست النساء وحدهن من يمتلكن الدهاء؛ فكثير من الرجال من لهم مكر الثعالب وعقول الشياطين..

رأيت في عينيها لمعة العاشقين فطالما عرفتها.. ولكن تلك اللمعة كانت كفيلة بإبقائها صامتة طوال الطريق.. فقط تداعب شعرها وتنشر عطرها..لقد ازداد الموقف سوءًا.. إما أن أخبرها بحبي الذي لم أتأكد منه بعد أو أن أدير دفة الحوار بعيدًا عن منطقة المشاعر ودفء الأحاسيس.. كان الاختيار الثاني أقرب لقلبي بكثير..

وصلنا إلى jan jemon أحدالمطاعم التي تقدم المأكولات الكورية.. قد أبدت سامية لي مرة عن حبها لهذا النوع من الطعام..

هي سيدة الليلة فليس لدي أي مانع أن أشاركها طعامها المفضل؛ فقد أشاركها كل شيء بعد ذلك..!

اختارت لنا سامية طاولة لفردين معزولة بعض الشيء عن باقي أرجاء المكان ولذلك حكمة! المكان يضفي عليها قوة خاصة تمكنها من حصاري وانتزاع كل الحقائق من صدري..

الطعام عبارة عن خليط من الأرز ممزوج ببعض التوابل الخاصة ويزيّن الطبق العديد من الأعشاب التي لا أعرف لها توصيفًا، ولكن المؤكد أنها نوع من النباتات أو الطحالب .

- هتفضل ساكت كده؟!!

- لا أبدًا، كنت بكتشف الحاجات دي، أصل أول مرة أدخل مطعم كوري..

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

-أها، هيعجبك الأكل جدًا.. على فكرة.. بس برضو مش ده اللي مغيرك في إيه اعترف؟

قالتها وهي تشير إليَّ بأعواد الخشب المخصصة للطعام .

بدأت جلسة الاستجواب.. أمام كل خفة الدم تلك والجمال الصارخ والعينين الواسعتين لا يمكن إلا أن تهز قلعتي.. الورقة الأخيرة التي أراهن عليها: الجواب المرسل قبل ذهابي إلى الحفل.

أخرجت ورقة البردي من جيبي وأتبعته بالورقة التي رسمت عليها النقوش ومددتها إلى سامية التي نظرت إليها بتعجب.

- إيه ده.. أنا مش فاهمة أي حاجة !!

- ولا أنا.. أنا لقيت الجواب ده في صندوق الجوابات برة البيت والنقوش اللي في الورقة التانية دي بتظهر في النور،تقريبًا مكتوبة بحبر سري أو حاجة زي كده.

تخلت سامية عن روح شابة العشرينيات وارتدت ثوب الباحثة، نظرت بتمعن لتلك النقوش.. قراءتي لوجهها تشير إلى أن كارثة في الأفق !

- دي نفس النقوش اللي مكنتش عارفة أترجمها امبارح.. نفس الكلام، نفس الاسم،يوسف أنا خايفة عليك.. أيًا كان اللي بتعمله لازم توقفه.. أرجوك عشان خاطري.

اعتلي الفزع وجه سامية كما لم أره من قبل .

- متخافيش كل حاجة هتتحل.. بس انتي عايزة تقولي إن نفس الكلام بالظبط ونفس الاسم (حامن دو) مكتوب هنا ؟!!

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~äăEë

-أيوة يا يوسف.. يمكن أنا مش عارفة الكلام ده معناه إيه بس أعرف أقراه.. يوسف عشان خاطري ابعد عن الكلام ده.. غيَّر يا سيدي موضوع روايتك مش هي دي اللي كل الأفكار وقفت عندها.

لقد عبثت الآن سامية بواحدة من قوانين الطبيعة.. فلا أنا أتخلى عن حلمي ولا أتراجع لمجرد أن الموضوع غامض.. حاولت أن أهدئ من روعها وأفهمها أن الموضوع قد يكون مجرد فكاهة من أحد الأصدقاء.

- متخافيش.. ممكن تبقى هزار تقيل من واحد صاحبي ولا حاجة.

- والحروف دي برضو هزار تقيل؟!!

قالتها سامية برعبٍ قبل أن تلفّ رأسي عنها تحاول أن تمسح دموعها التي تلألأت في عينيها ثم أكملت:

- يوسف أنا خايفة عليك وقلبي مش مطمن.. يوسف أنت لازم تعرفإن أنا بحبك وإن لو حصلك حاجة، أنا هموت مش هقدر أعيش من غيرك.

كانت كلمات سامية صادقة تنبعث من داخلها.. زلزلت كياني تهدمت أول حصوني أمام غزو تلك الفتاة.. اخترقت كياني بنظرتها الحانية.. اااااه كم أشتاق لمثل تلك الكلمات.. تعمقت كلماتها بداخلي لتشفي كل الجروح وتنشر زهورًا وبساتين جميعًا لها نفس ذلك العطر الذي نشرته سامية.. الموقف يستدعي أن أطبق على يديها لأطمئنها أن أجعل راحة يدها تستقر بين يدي.. فقط تحدثت نظرات عيني إليها أخبرها بأني أيضًا أحبها.. أو على الأقل على أتم الاستعداد للسقوط في شباكها الحانية.

- متخافيش كل حاجة هتبقى كويسة.

pA~aaEÇ~A0~ ~apA~aaEe

بخفة مسحت سامية دموعها بيدها الحانية وهي تصطنع ابتسامة تجعلني أطير في السماء فقط لأجذب لها القمر تداعبه وأزين خصلات شعرها بنجوم السماء .

الساعة قاربت على منتصف الليل.. لابد لهذا اللقاء أن ينتهي.

- يلا بينا عشان متتاخريش على البيت.

أومأت سامية برأسها موافقة.. بنفس تلك الابتسامة التي لن تفارقني أبدًا طيلة الليل..

على الرغم من أن طموحاتها في قضاء ليلة رومانسية قد تدمرت إلا أنها احتفظت بها !

أمام باب منزلها كان الوداع حانيًا أكثر من أي وقت.. فقط ببعض الكلمات ولكن تحمل الكثير والكثير من المشاعر.

- خلي بالك من نفسك..

- حاضر، وانتي كمان متخافيش عليا .

ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
إشترك بجروب ساحر الكتب
ليصلك كل جديد وحصرى

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

(4)

منتصف الليل على ضفة النيل له رونق خاص، خاصة حين يصاحبة صوت (حليم).. (أول مرة تحب يا قلبي).. أول مرة ؟؟!! للمرة الثانية جائزة أحسن ممثل التي لم أتهنَّ بها لثوانٍ معدودات؛ فقد كانت فعلًا أول مرة تحب يا قلبي.. حقًّا شعور الحب كما يجب أن يكون.. عجبًا لهذه الدنيا، من يراني قبل ساعات قليلة لا يمكن أن يتصور أن هذا هو نفس الشخص..

في المنزل لم يشغلني أي شيء سوى وجه سامية وأصوات (حليم) التي ملأت بها جدران منزلي..

حتى الأفاعي على سريري الأثري بدت لي وكأنها ترقص طربًا.. سرحت في صوت سامية حتى غلبني النعاس..

-استيقظ.. الوقت ليس مناسبًا للنوم، مازال بيننا حديث لم ينتهِ بعد !

فتحت عيني فرأيته.. يقف أمامي متشحًا بالسواد من أعلى رأسه حتى أسفل قدميه.. صاحب كابوس المغطس استطعت أن أميّزه من صوته الجهوري.. نفس القشعريرة سرت في جسدي وانعقد لساني ألف عقدة ..

- لا تخَف لم آتِ لإيذائك.. فقط أريد الحديث معك.

بالكاد صدر منّي صوت.. خرج من فمي وكأنه فحيح أفعى وقعت في الأسر.

- أنت مين وعايز مني إيه ودخلت هنا ازاي؟

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

قاطعني رافعًا يديه مشيرًا لي بالصمت.. لا أعرف لم توقفت عن الكلام ولكني وقتها وددت لو أنالأرض تنشق وتبتلعني على أن أواجه هذا الشخص.. نظرة عينيه كفيلة فقط بأن تبقيني صامتًا دهرًا بأكمل.. الشيء الوحيد الظاهر من جسمه النحيف طويل القامة.. أصابعه طويلة تبدو بوضوح تحت قفازه الأسود.

- ليس لك الحق أن تسألني من أكون.. أنا أمرك وأنت تطيع.

للحظات تهيأ لي أن الأفاعي المسلسِلة لأعمدة سريري قد توجهت صوب يديه.. لم أكن أتخيل: فقد توجهت فعلًا صوب يديه.. رفع رأسه إلى الأعلى، وقال بصوته الجهوري:

- أنا ((حامن دو)). أنا من تعبث بقبره وتسعى لكشف سره.. احذر الدم الأسود حين يُسَال.. ولا تنسَ يومًا أن البعث قريبٌ .

قال جملته ورفع يده للأفاعي كإشارة للانقضاض عليَّ..لم أشعر بجسدي ولا روحي والأفاعي قد احتضنته تعتصره بلا هوادة.. قيد تحركتي وحجبت الرؤيا عني أجسادها اللزجة الناعمة.. لم أشعر بنفسي إلا في الصباح وقد امتلأت الحجرة بنور الشمس.. كل شيء يبدو طبيعيًا الأفاعي في أماكنها لم تغادر والإسدال الذي ابتعته بالأمس معلق على (شماعته) أمامي.. فقط النوافذ هي التي تفتحت لتسمح بغزو الشمس للحجرة .

انتفضت من نومي وأنا آمل أن ما رأيته كان محض كابوس.. العرق يتصبب من كل جزء في جسدي.. مددت يدي ملتقطًا علبة السجائر وبدأت أنفخ الدخان في كل أرجاء المكان.. كالمجنون محاولًا البحث عن أي شيء قد يدلني أن كان ما رأيته كان حقيقة أم مجرد كابوس..

دقت الساعه مشيرة إلى الثامنة صباحًا.. اللعنة على تلك الساعات القديمة تمارس دورها في إفزاعي أكثر من أن تنبهني إلى الوقت..

بعد حمام الياسمين اليومي.. فضلت البقاء في المنزل، على أن أكتب المزيد عن نوح، أو لعل ساعي بريد (حامن دو) يشرفني في أي لحظة.. أمسكت بقلمي العزيز وبدأت أكتب:

(أمضى نوح ليلته الأولى كواحد من أهل الصنعة وسط تلك الترانيم.. عليه الآن أن يرتدي وشاحًا فوق إسداله الأسود دليلًا على تقدُّمه في المذبح.. تقدم إليه اثنان من الواقفين حاملين بين أيديهما وشاحًا أحمر اللون.. اقتربا منه وألبساه الوشاح وسط همهمة الحاضرين.. وقف كبير المذبح ثابتًا وكانه أحد تلك التماثيل التي تملأ المكان..)

لست اليوم في مزاج يسمح لي بالكتابة، حالة جمود فكري.. بعد أن كنت أشعر أن الرواية تجذبني إليها تجعلني أكتب تفاصيلها توقف الوحي عن إلهامي.. أرحت القلم بهدوء قبل أن يقطعه صوت جرس الباب يدق.

هرولت بسرعة تجاه الباب لعله ذلك الرسول المنتظَر.. فتحت الباب بعنفٍ كاد أن ينخلع مقبضه في يدي.. لا أحد عند الباب.. مزحة سخيفة من أطفال الشارع هكذا ظننت قبل أن تلمح عيني ذلك الظرف الموجود تحت قدمي!!.. نفس الشعار!! الأفعى والهرم المنير.. وكأنه كنز التقط الظرف وفتحته لأجد نفس الورقة المطوية.. ولكن بعبارة مختلفة ((البعث حين الاصطفاف)) الورقة بتوقيع نوح !!!

لقد زاد الأمر عن حده، لا يمكنني احتمال كل تلك التفاهات، لابد أن تكون هناك نهاية لكل تلك الأمور المتشابكة.

pÂ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

ارتديت ملابسي وتوجهت إلى معبد بن عزرا.. اليوم سأكشف الستار عن كل ما يحدث .

استقبلني عم سيد بابتسامته البلهاء المعتادة قبل أن يخبرني بأن المعبد مغلق لأعمال الصيانة والترميم !!

أي صيانة وأي ترميم الذي يتحدث عنه، وكيف يكون ذلك ذلك بين غدية وصباح.. بمقت شديد صببتُ كل غضبي على (عم سيد) رغم علمي بأنه فقط ينفّذ الأوامر القادمة إليه.. هدأت من ثورتي بعد أن استرحت على أحد أرصفة المعبد وأنا أنفث دخان سيجارتي على المارة وألحقهم بنظرات تحرقهم حتى طنوا أني فاقدٌ لعقلي.. لا حل سوى استخدام أفضل الطرق الشائعة في مصر: الرشوة !! مستغلًا بذلك احتياج (عم سيد) للنقود.. عمل غير أخلاقي لابد منه.. ويا ليتني ما أقدمت على ذلك.. بمجرد أن نوهت لـ(عم سيد) بأني مستعد أن أمنحه أي مبلغ من المال قد يطلبه مقابل دخولي إلى المعبد لساعة واحدة، حتى ثارت ثورته وتغيرت ملامح وجهه واحمرت جبهته.. واختفت كل معاني الاحترام التي كان يظهرها لي.

- أنت مجنون.. أنت عايز ترشيني أنا ؟!! أنا بقالي أكتر من 35 سنة هنا بحرس المكان ده وعمري مامديت إيدي لحد.. جاي دلوقتي وانا طالع على المعاش عايز تخليني خاين للأمانة.. لا يا أستاذ طلبك مش عندي.

قالها عم سيد بكل قوة وحزم وكأنه ممثل اعتلى خشبة المسرح وأخذ يؤدي دوره بكل حرفية وفنّ، وزاد اندماجه في دوره حتى تخيَّل ليأنه سوف يرفع يده ليصفعني.. وكلمة أستاذ كانت أقرب إلى السب منها للاحترام .

- طب اهدى يا عم سيد.. أنا مقصدتش إن أنا أرشيك ولا حاجة اعتبرها هدية بسيطة منّي للأولاد..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

-أولاد إيه وبتاع إيه؟.. أنا راجل شريف يا حضرت، ربيت ولادي ودخلتم أحسن كليات بشقايا وتعبي ووقفتي طول النهار هنا.. ومش مستني هدايا من سعادتك.. عندك اللي مسئولين ممكن تروحلهم يدوك تصريح لكن على جثتي لو أنت دخلت المكان ده من غير إذن.. حتى لو جبتلي مين.. انفضل بقى من هنا .

لقد تمادى عم سيد وتجاوز كل الحدود المسموح بها وغير المسموح بها.. يبدو أن طريقه مغلق ولا أمل إلا في الذهاب إلى المسئولين بوزارة الثقافة.. تركته يلاحقني بتمتمته التيأعلم جيدًا أن معظمهاإن لم يكن كلها سبٌّ لي و لخطائى في حق تاريخه المهني .

توجهت إلى مقر وزراة الثقافة وأنا افكر في موقف (عم سيد) كيف لهذا الرجل بالرغم من احتياجه الواضح للمال أن يرفض أي مبلغ كنت على أتم الاستعداد أن أقدّمه له مقابل ساعة واحدة بالمعبد؟!! هل يمكن أن يصل عشق الفرد لعمله إلى ذلك الحد؟!! لقد أدرك (عم سيد)أهمية عمله قبل أن يدرك قيمته المادية، وشعر فعلًا بأنه أُؤتمن على شيء لا يمكن أن يخونه.. زاد احترامي لـ(عم سيد) خاصة بعد أن أخبرني أنه استطاع أن يُلحِق أبناءه بالكليات ولم يكتفِ فقط بتعليمهم القراءة أو الكتابة أو حتى توصيلهم إلى مستوى مقبول من التعليم الفني الذي هو نفسه حاصل عليه.. كل التحية والتقدير لـ(عم سيد) على الرغم من سبّه لي واحتقاره لي.. أنا صاحب المرتبة الأدبية المرموقة بعض الشيء والأول على دفعتي طوال سنين الدراسة،ولكن نفسي سمحت لي بأن أتخلى عن مبادئي مقابل حاجتي وإرضاء شغفي.. لا أنكر أني تعلمت الدرس جيدًا من (عم سيد).. ليت مصر كلها لديها ضمير عم سيد..

في استعلامات وزراة الثقافة، دار حديث قصير بيني وبين موظفة الاستقبال.

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- مساء الخير..

- مساء النور يا افندم.. ازاي أقدر أساعد حضرتك؟

- أنا يوسف المصري.. روائي.. وراويتي الجديدة بتدور حوالين معبد عزرا.. بس اتفاجئت النهارده باعمال ترميمة .

- شرفتنا يا أستاذ يوسف.. فعلًا المعبد بدأت عملية الترميم فيه، القرار لسه صادر امبارح بالليل .

- بس المعبد بحالة جيدة.. أنا كنت لسه موجود فيه امبارح .

- اللجنة الهندسية هي اللي اتخذت القرار ده..(هزت كتفيها متعجبة.. وابتسمت ابتسامة تدل على عدم اقتناعها هي أيضًا بذلك القرار)

- طيب أنا كنت عايز إذن عشان أدخل المعبد، فيه جزء في الرواية محتاج أزور فيه المعبد.. يا ترى ممكن مين اللي يساعدني.

- أنا آسفة يا أستاذ يوسف، أنا أعتقدإن الموضوع ده صعب شوية، بس الباشمهندس/ تيسير ممكن يساعد حضرتك في الموضوع ده .

أومأت برأسي مصدقًا على كلامها قبل أن أتابع:

- طيب يا ترى أعرف أقابل المهندس / تيسير ازاي؟!

- ثواني يا افندم هكلمه وحضرتك تطلع تقابله .

رفعت سماعة الهاتف الموضوع على مكتبها وأخبرت المهندس/ تيسير بحضوري وعن رغبتي في الحصول على إذن لزيارة المعبد..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- اتفضل يا أستاذ يوسف الدور التالث.. تاني أوضة على الشمال ..

- متشكر جدًّا.

- العفو تحت أمرك في أي وقت.

توجهت إلى المصعد بخطوات ثابتة، أحاول أن أرتب كلماتي عند مقابلة (تيسير)

توقف المصعد أمام الدور الثالث بمبنى الوزارة.. الحوائط الرخامية تعكس طابعًا كلاسيكيًّا على المكان.. حركة الموظفين ذهابًا وإيابًا تعطي شعورًا بأن الدولة كلها من فئة المثقفين وأن هؤلاء الرجال حريصون على تنميتهم فكريًا..

الغرفة الثانية على اليسار.. علقت على بابها لافتة مكتوب عليها (م/ تيسير عبد الحميد) رئيس اللجنة الهندسية .

طرقت على الباب برفق فقد يكون من ذلك النوع الحكومي المتأفف من كل شيء حتى من زيه الرسمي المقيد لحركته.. جاءني صوت من الداخل يسمح لي بالدخول إليه..

المهندس تيسير يجلس خلف مكتبه الضخم غير المتناسب مع بنيته: فقد كان نحيلًا فاقدًا جزءًا كبيرًا من شعره.. أطلق شاربه يتدلى على فمه وصوته جهير.. أشار لي بأن أجلس على المقعد المقابل لمكتبه:

- اتفضل يا أستاذ يوسف واقف ليه؟!

- متشكر جدًا..

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- ها.. أؤمرني ازاي أقدر أساعد كاتب كبير زي حضرتك.

- ربنا يخليك ده من ذوقك.. في الحقيقة أنا كنت محتاج تصريح عشان أعرف أزور معبد بن عزرا، في جزء من روايتي الجديدة بيدور جواه ..

- أنا آسف.. أفتكر إن محدش هيعرف يساعدك في الموضوع ده.. أمر الترميم جاي من فوق، من الوزير.

- جاي من الوزير !! اللي أعرفه إن اللجنة الهندسية هي اللي بتطلع قرار زي ده بعد المعاينة.

- ده صحيح بس المرة دي.. الوزير هو اللي طلب كده.

- طيب إيه الحل دلوقتي؟!! الجزء ده مينفعش أغيّره في الرواية وضروري إني أزوره .

- صدقني أنا مش في إيدي حاجة.. الموضوع صعب حبتين بس ممكن نظبتها مع ناس تانية ممكن تديك التصريح بس الموضوع بيبقى متعب شوية.

الحقير!! طلب مفضوح لرشوة.. أدركت ذلك حين نظر إلى درج مكتبه ولمعت عيناه.. يستغل ضعفي واضطراري لزيارة المعبد.. يكفي هذا الحد من المراوغة.. أين أنت يا عم سيد لتعطي مثل هؤلاء درسًا في العفة وطهاره اليد .

- باشمهندس تيسير.. الموضوع هيتكلف قدّ إيه عشان أعرف أطلع التصريح.. بلاش نضيّع وقت بعض.

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

تغيرت ملامح تيسير لم يتوقع تلك الجرأة مني، ولكن امتلأ فمه بابتسامة عريضة متمنيًا لو أن كل زوراه مثلي يجنبونه مشقة الوصول إلى هدفه .

- لا لا أنت فهمتني غلط يا أستاذ يوسف.. أنا مقبلش الكلام ده ولا يدخل مكتبي أبدًا.. الفكرة إن دي مسئولية على اللي هيطلعلك التصريح كأنك عضو في اللجنة بالظبط عشان تقدر تدخل المعبد، وطبعًا الراجل ده محتاج عرض مغري عشان يقدم خدمة زي دي.. لولا إني استريحتلك أنا مكنتش وافقت على الكلام ده أبدًا.

ليس فقط محتالًا ولكن منافق.. اول مرة تقع عينيه على أصبحت من المقربين الذين يهرع لمساعدتهم !!

- مفهوم يا باشمهندس.. والراجل ده تقريبًا هياخد قدّ إيه؟

- يعني مش كتير حسبة تلات آلاف جنية.

- وأقدر أخدالتصريح إمتى؟!

- بكرة زي النهارده هيوصلك لحد البيت.. بلاش تيجي هنا تاني عشان محدش يشك فيك.

أنت هتدخل المعبد بتصريح يقولإن اللجنة انتدبتك للمعاينة التاريخية للمكان كأنك واحد من اللجنة بالظبط، متقلقش هنظبتلك كل حاجة.

أخرجت قلمي وحررت له "شيكا" بالمبلغ وأنا أتمنى أن يحترق في يده وأنا أرى تلك الابتسامة في عينيه ..

غادرت مكتب تيسير وأنا ماقت على كل المحتالين أمثاله.. على مدمري العقول..فشعب بدون ثقافة هو شعب ميت إكلينيكياً .

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

لم أتناول الطعام منذ الصباح، وليس لي أي رغبة في الذهاب إلى (مارجريتا)، كانت حالتي المزاجية بعد ذلك التضارب بين موقفي عم سيد والمهندس تيسير تؤهلني تمامًا للاتصال بالناس والتوقف قليلًا عن نعتهم بالأغبياء أو عن سبهم لأصواتهم العالية المزعجة..

أدرت محرك السيارة لا أعلم إلى أين أتجه.. فقط رغبت في أن أرى وجهًا آخر من وجوه المصريين التي طالما كتبت عنها فقط في الروايات أو المقالات..

في الطريق رأيت هؤلاء الباعة الجائلين ينادون على بضائعم دون وصفها بالفاسدة.. رأيت الموضوع من منظور مختلف تمامًا.. ساعدني حسي الروائي على سرد قصة مؤيدة لكل منهم. هذا الرجل يضحي بصوته من أجل الحصول على بعض النقود ليوفر لأسرته الطعام آخر كل يوم.

وتلك السيدة التي تلاحق أحد أتوبيسات النقل الداخلي تمنعها ظروفها المعيشية من شراء سيارة تحفظها من كل هذا الركض الأوليمبي.. وأيضًا توفيرها لأجرة التاكسي الخاص .

ذلك الرجل الهرم في السن يمشي بروية، ويبدو عليه التعب ما الذي دفعهإلى النزول في الشوارع المزدحمة؟

استوحد وجوده في المنزل بين ذكريات أولاده الذين نسوه ولم ينسَهم فقرر أن يسير في الطرقات مبتسمًا في وجوه الناس الذين لا يعرفهم؛ فقد يشعر بالدفء بالقرب منهم .

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

الأطفال في لحظة الخروج من المدراس يندفعون في فرح هربًا من نظام التعليم الإجباري فالمدرسة تمثل لهم سجنًا كئيبًا يتزين عساكره وظباطه بتلك العصي بدلًا من النجوم والنسور والسيوف على أكتافهم .

قاطعت تلك القصص الصغيرة سامية حين ظهر اسمها على شاشة هاتفي..

-ألو.. ازيك يا يوسف؟

- الحمد لله.. ازيك يا سامية؟

- عامل النهارده؟

- كويس الحمد لله مفيش حاجه حصلت.. لسه قلقانه ؟

- طبعًا لسه قلقانة.. أنت فين ؟

- نزلت أشم هوا شوية، زهقت من قعدة البيت ومش عارف أكتب حاجة.

- طيب ممكن تخلي بالك من نفسك؟

- حاضر متقلقيش وانتي كمان خلي بالك من نفسك.

- حاضر.. سلام.

- سلام.

أنهيت المكالمة مع سامية وكل خلايا جسمي سعيدة بذلك الصوت.. أخيرًا وُجِدَ لي من يهتم لأمري بعد كل تلك السنوات.. استطاعت سامية أن تغيّر

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

نظرتي للحياة تبعث نارًا من تحت الرماد توقد تلك المشاعر الإنسانية بعد أن ظننت أنها تجمدت .

ازداد حبي للناس وللمارة وأعجبتني فكرة الكتابة عنهم لأرصد واقعهم الذي يعيشونه.. بدون أي تكهنات مني عن حياتهم فقط أنقل مشاعرهم، أفراحهم وأحزانهم.. صففت سيارتي بجوار أحد الأرصفة ودفعتني تلك المشاعر للالتحام بالناس التقرب إليهم مخاطبتهم.. ركبت أحد الأتوبيسات المارة التي لا أعلم وجهتها، وتأملت في وجوه الناس مكملًا تخيلاتي عن حياة كل منهم.. كل وجه يخفي وراءه أسرارًا وأسرارًا، لا يمكن الكشف عنها بسهولة.. وراء تلك التجاعيد في وجوه كبار السنين سنوات من الشقاء والتعب وتضحيات من أجل أبنائهم أو من أجل أهدافهم التي كان واضحًا أنهم لم يصلوا إليها .

خلف تلك الابتسامات المتقطعة للفتاة الجالسة بجوار النافذة، قصة حب على وشك الانتهاء تسترجع ذكرياتها

نظرات حائرة وابتسامات تائهة وتنهيدات تقطعها ألفاظ الحمد والتوحيد، وآخرون في محادثتهم الهاتفية انشغلوا وارتفعت أصواتهم.. وآخرون لم تتغير ملامحهم منذ أن صعدت معهم على نفس الحافلة: التجهم يملأ خطوط جباههم وانطفأت لمعه أعينهم !!

توقفت الحافلة عند نهاية خط سيرها.. (السيدة زينب) تلك المنطقة التي صحبني والدي إليها وأنا ابن العشر سنوات.. أول من دفعني لتأمُّل كل ما هو أثري.. دائمًا ما كانت تأسر قلبي تلك المناطق وكأني نفس الطفل ابن العشر سنوات، تابعت رحلتي في تأمل الوجوه.. متأملًا المباني القديمة والطابع الإسلامي الطاغي عليها.. في أحد مقاهي السيدة زينب رأيت الألفة

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

والضحكات الصافية من القلوب.. تلك الروح المصرية التي كنت دومًا أفتقدها. أرحت جسمي على كرسي مطل على الشارع بجوار رجل عجوز ومع ذلك تبدو عليه علامات الصحة.. كنت أحاول أن أبدأ معه أي حوار.. وانطلقت مني الكلمات بسذاجة متناهية، جعلت الرجل يرتاب من أمري.. ومعه كل الحق.

- بتدخن يا حاج؟

قلتها وأنا أمد يدي إليه بسيجارة .

-أيوة.. ربنا يتوب علينا وعليك.

-آمين يا حاج.. اومال أنت بقى ساكن هنا ولا إيه؟

- أنا بقالي 45 سنة هنا ولو خرجت منها معرفش أعيش.

- يااااه للدرجة دي يا حاج .

-أومال يبني.. مستحيل تدوّر وتلاقي مكان أحسن من السيدة زينب..

- بس في أماكن كتير حلوة في مصر يا حاج.

- عمرك ما هتلاقي طيبة أهلها ولا لمّتهم في المواسم ولا لما تحتاج حد تلاقي كل المنطقة جنبك.

قال كلماته بحدة وكأنني سَبَبْتُ أجداده او أسلافه.. الوقت حان للتعارف.

- أنا اسمي يوسف.. كاتب.

- أنا عمك الحاج ممدوح.. مهندس ميكانيكا.

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

pÅ~ååÉÇ=Äó=`~ãpÅ~ååÉê

- تشرفنا..

- ها إيه اللي رماك على السيدة زينب بقى ؟ شكلك مش من هنا.

- لا أبدًا.. كنت محتاج أغير جو شوية قلت أجي أشوف الناس الطيبة.

أومأ الحاج ممدوح برأسه مصدقًا على كلامي.

- أنت تعرف يا يوسف مهما تروح وتيجي لازم في يوم رجلك هتجيبك هنا.. أنا سافرت بلاد كتير أوي لكن عمري مالقيت أحن من الحتة دي.. بس أنا بشبّه عليك.. أنا شوفتك قبل كده ؟!

- أنا بكتب مقالات في الجرايد وساعات بينزلوا صورتي معاها يمكن شوفتي فيها.

- لا.. مفتكرش.. أبوك اسمه إيه؟

- السيد المصري.. كان معماري.. هو من السيدة زينب على فكرة قبل مانعزل.

- يااااه.. أنت ابن المهندس سيد.. ده عِشرة سنين.. هو في زي المهندس سيد في دماغه وحبه للجمال.

دايمًا كنا بنقعد هنا زي أنا وأنت كده يفضل يحكيلي حكاية كل مبنى من دول واشمعنى اتعمل بالمنظر ده.. رجّعتني لورا أنت أوي يا يوسف.. هو فين أراضيه الأيام دي؟

- تعيش وتفتكر يا حاج ..ربنا يرحمه.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

ظهرت علامات الحزن على وجه الحاج ممدوح يبدو أن والدي كان من المقربين له.. صمت للحظات قبل أن أشعر بحشرجة صوته في الحديث.

- المهندس سيد مات.. لا إله إلا الله.. هي دي الدنيا.. الله يرحمه كان من أحسن الناس اللي عرفتهم في حياتي.

عليّ التوقف الآن عن الحديث مع الحاج ممدوح فقد أبحر في ذكريات الماضي يسترجع تفاصيل مواقفه مع والدي وحكاويهما الأثيرة.. رغبتي لم تنجح في وقف عم ممدوح.. فاجأني بالسؤال الذي طالما أردت الهروب منه.

- مات ازاي يا يوسف؟

وكأن كل معاني السعادة قد اختفت من الوجوه واتشحت الدنيا بالسواد.. حملني سؤاله إلى بحرٍ من الذكريات التي وددت دومًا أن أمحوها من ذاكرتي.. كأنها دوامة في عرض المحيط سحبتني معها إلى قاعه لترطمني بالصخور وتنهش جسدي أسماك القرش بأسنانها المفترسة.. أجبت محاولًا انتشال نفسي من تلك الدوامة:

- اتقتل يا حاج ممدوح.. اتقتل

- اتقتل !! مين اللي يقتل سيد؟ ده طول عمره كان في حالة.. اتقتل ازاي؟! وليه ؟!

- اتقتل في انجلترا.. البوليس قال إنه اتعرّض لمحاولة سرقة قاومهم فقتلوه وللأسف معرفوش يجيبوا اللي قتله لغاية النهارده .

كان من السهل عليَّ قراءة عين الحاج ممدوح وعقله يرفض التصديق، نظرة عينيه تملؤها كلمات يعجز فمه أن يخرجها..

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- مش ممكن.. ده كلام فاضي.. الحدوتة دي متخشش دماغي.. أبوك عارف انجلترا زي ماهو عارف السيدة زينب، مستحيل !! الأماكن اللي بيحصل فيها الكلام ده أبوك ميروحهاش..

رفعت كتفي متعجبًا من قول الحاج ممدوح.. فهذا ما أخبرتنا به الخارجية المصرية نقلًا عن اسكوتلاند يارد .. أكمل الحاج ممدوح حواره قائلًا:

- كان لوحده ولا كان مسافر معاه حد ؟

- كان معاه واحد صاحبه، ولما رجع قالنا انه عرف الخبر زيه زينا.. مكنش معاه وقت الحادثة والبوليس هناك هو اللي قاله على اللي حصل .

- هشام منصور مش كده ؟

- اه.. أنت عرفت منين؟

ضاقت حدقتا الحاج محمود.. كان الكره لهذا الشخص باديًا عليهما.. وانتفخت عروق رقبته النابضة.

-أبوك كان ملازمه لفترة طويلة وكان بيسافر معاه كتير فتوقعت إنه كان معاه.

كلمات الحاج ممدوح تلك المرة كان يجلس على عروشها كذبٌ متوَّج.. يمكنني أن أعرف ذلك خاصة بعد أن أشاح ببصره يسارا مدعيًا النظر إلى تلك المباني المقابلة لنا.

أكمل جملته:

- أنت متعرفش حاجة عن هشام دلوقتي ؟!!

pÅ~ååEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

- لا آخر حاجة عرفتها إنه سافر انجلترا تاني.

هزّ الحاج ممدوح رأسه.. ورأسه يملؤها الكثير والكثير.. معلومات أراد أن يخفيها عني.. ماذا أفعل مع هذا الرجل لأصل إلى ما يواريه في نفسه.. أفضل الطرق، المواجهة:

-أنت شاكك في حاجة؟!!

- لا أبدًا.. بس مستغرب.. ربنا يرحمه.

كانت جملته الأخيرة إشارة لإنهاء الكلام الذي يصارعه ليمنعه من الخروج من صدره.

-عم ممدوح.. أنت شاكك في حاجة؟ ومتحاولش تقنعني بحاجة غير كده.. أنت شاكك إن واحد زي هشام ده يكون له يد في قتل أبويا؟!!

وكأني لتوّي أزحت الحجر المعتلي بئر ذكرياته.. تدفقت الكلمات من عم ممدوح كما يتدفق الماء من الينابيع.. رأى في عيني نظرة الإصرار وعلم أني لن أتوقف حتى يخبرني عن الحقيقة.

- بص يا يوسف.. الراجل ده أنا مش مستريحله من زمان وياما نصحت أبوك إنه يبعد عنه.. تصرفاته كلها كانت غريبة.. حركاته نظرات عينه كلامه اللي مبيتفهمش نصه..

معرفش أبوك كان رايح جاي معاه ليه؟!.. عدّت عليا فترة طويلة مشوفتش فيها أبوك وعرفت من ناس حبايبنا إن الجدع ده قال عنّي كلام وحش في حقي لأبوك.. كلمته وقولته إني عايز أقابله وأتكلم معاه.. يومها شوفت أبوك بالليل.. كان في حاجة مغيراه مش طريقة كلامه بس.. كان باين عليه

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

إنه خايف كأن حد مراقبة.. حاولت أعرف منه هشام قال عليا الكلام ده ليه؟.. اتضايق جدًا مكنش قادر يستحمل كلمة وحشة على هشام والدم ضرب في عروقه لما قولتله إن الواد ده اسود من جواه وهيوديك في طريق زي الزفت.. نرفزته زادت وأصر إني مجبش سيرته بكلمة تانية لو عايز نستمر صحاب، ساعتها أنا كنت بكلم حد تاني مش أبوك اللي أعرفه، حتى شكله كان متغيّر هفتان وباين عليه التعب أوي واللي استغربتله أكتر إن عمره ما علا صوته عليا ولا على أي حد، دايمًا كان هادي.. بيحترم كل الناس.. استغربت أوي للعصبية اللي كان فيها.. حتى فاكر إن يومها كانت إيده مجروحة ولما سألته أنت متعور من إيه قالي مش شغلك!!! من إمتى العلاقة بينا كانت كده يا سيد.. من النهارده يا ممدوح، ومتدخلش في حاجات متخصكش.. كان ساعتها صعب أوي أن استحمل كلام أكتر من كده منه..سيبته ومشيت ومن ساعتها معرفتش عنه أي حاجة.. بس عرفت بعد كده عن هشام إنه أتمسك بالليل في قصر البارون وهو بيحاول يسرق منه تحف بس خرج منها زي الشعرة من العجين..

كلام عم ممدوح كان جديرًا بأن يثير مشاعر الغضب لـ(هشام منصور) خاصة أني لم أسترح له نفسيًا من قبل بادرت الحاج ممدوح بالسؤال إن كان حد معلوماته ينتهي عند ذلك أم أنه يخفي المزيد.. وكانت الإجابة مخزية فلم يعد يعرف له طريقًا ولا بلدًا، وانقطعت عنه الأخبار،ولكنه يضمر له من داخله كل الكره.

كانت كلماته صادقة أستطيع أن أستشعرها.. ودَّعت الحاج ممدوح وأنا فرح بأني اكتسبت يومًا صديقًا رغم فرق السن بيننا.. يمكنني أن أحادثه في أي وقت نسترجع ذكريات والدي..

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

رحلتي إلى السيدة زينب كانت تسخيرًا من القدر أكثر منها بحثًا عن الهدوء. يبدو أن القدر يختارلي أن ابقي مشغول البال محاطًا بالالغاز أينما هربت منها .

استقليت تاكسي ليوصلني إلى مكان سيارتي المصفوفة.. مرَّ الطريق دون الحديث من السائق في أي شيء ذي قيمة.. فقط ينهال بالسباب والشتائم على قليلي الخبرة في القيادة متصور نفسه amr macgyvr

يتخلل سبابه شكواه من جهل الناس ومن غبائهم وفساد الحكومة وارتفاع الأسعار وضغوط الحياة.. ومشاكله العائلية المتسمرة مع زوجته!!.. إحدى ضحايا الزواج.

بمجرد أن وصلت إلى السيارة.. وجدت سامية تتصل بي..

-ألو.. ازيك يا يوسف ؟

- ازيك يا سامية كنت لسه هكلمك أطمن عليكي.

- القلوب عند بعضها بقى.. كنت حابة أطمن عليك.

- أنا كويس الحمد لله في الطريق مروح البيت أهو.. انتي عامله إيه ؟

- الحمد لله كويسة.. اليوم وحش أوي من غيرك.

- وانتي كمان اليوم من غيرك وحش.

- وصلت لحاجة في الرواية؟

- لا.. هروح أحاول أكتب شوية .

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

- ماشي.. خلي بالك من نفسك وانت مروّح.

- حاضر.. سلام.

- سلام.

تصرفات المراهقين لا تليق بنا كثيرًا.. أظن سامية كانت تتوقع بعد سماعي لجملتها عن اشتياقها لي، دعوة على العشاء يضفي عليها ضوء الشموع لمسة رومانسية، ولكن لابد أن أضع حدًّا لذلك إما بأن أتأكد أني أحبها ووقتها أضع دبلة في خنصرها الأيمن أو أن أبتعد عنها.. قرار صعب ولكن لابد من اتخاذه آجلًا أم عاجلًا..

قبل وصولي إلى المنزل تذكرت أني لم أذق طعم الطعام من الصباح على الرغم من نيتي في تناوله قبل رحلتي إلى السيدة زينب.. ولكي يكتمل اليوم المفتوح رحلة أخرى إلى إحدى عربات الفول المدمس القابعة على ناصية منزلي !!

على الرغم من غرابةالمنظر، ولكني شعرت بإحساس طفل يكتشف العالم من حوله.. كان مذاق الفول أشهى في فمي من طعام مارجريتا ومن طعام ذلك المطعم الكوري.. تناولت ثلاثة أطباق بالخلطة السرية كما كان مكتوبًا على العربة (حمو صاحب الخلطة السرية).. حمو شخصية واسعة الانتشار لم يتوقف عن الترحيب بي طوال مدة التهامي لفوله عارضًا عليَّ جميع أنواع المقبلات المتوافرة عنده وزاد في حفاوته بتقديم كوب من الشاي على حسابه الشخصي..

تلك الوجوه الصامتة لا يغيّر تأثير وجوهها سوى مضغهم لفول حمو ذي الخلطة السرية!!.. أنهيت طعامي وحييت حمو بابتسامة هادئة أشكره فيها

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

على حفاوته وعلى خلطته السرية وأيضًا على تلك التجربة التي منحني أباها.. شعرت بالشبع وقد امتد إلى أعلى صدري، ليست السعادة بنوع الطعام الذي نأكله، ولكن بإحساسنا بدفء ملمسه على ألسنتنا بمن يشاركنا شعوره . يبدو أن اليوم قد حمل لي دروسًا قد منعت نفسي من تعلمها طيلة السنوات الماضية.

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

(5)

ولأول مرة.. أشعر بالارتياح فوق سرير الإله رع انتابني هدوء لم أحظَ بمثله منذ أن بدأت أكتب في تلك الرواية.. حتى رأسي الممتلئ بكل ما رأيت وكل ما تحملته من غموض بدا وكأنه يستوعب تلك الأمور بل يداعبها أحيانًا.. لعل اليوم أصبح ملائمًا لسرد قصة نوح..

(شعر نوح بزهو الانتصار فقد استطاع بعد تلك المعاناة أن يصل إلى مرتبة أهل الصنعة، أصبح يمكنه أن يتخذ قرارات مصيره تهم المذبح بل وأن يسير تحت إمرته مجموعة من المبتدئين..

ارتفع صوت كبير الكهنة مؤكدًا مرتبة نوح.

- ((تم تكليف نوح بن شيما بأن يتولى من الآن مهام البحث عن كأس التكوين))

ارتفعت الهمهمات في وسط المذبح وكأن كأس التكوين ذلك هو سر من أسرار المذبح،أمر كبير.. عجز نوح نفسه عن تفسير ما هو هذا الشيء، وأين يكون لكنه منع نفسه من أن يظهر عليه جهله بمكنون ذلك الكأس.. قال كبير المذبح جملته قبل أن يأمر الجمع بالانصراف بعد ترديد ولائهم للمذبح وسعيهم الدائم على إعلاء كلمته بل التضحية في سبيله أيضًا.. ولكن بقي السؤال الذي حيَّر نوح: ماهو (كأس التكوين)؟؟!!.. تلك الإجابة التي يجب عليه أن يجيبها بمفرده قبل موعد اجتماعهم التالي عندما يصبح القمر بدرًا...))

pÂ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

أنهيت ذلك المقطع وغلبني النعاس بعد صراع طويل انتصر هو في نهايته انتصارًا وهو يبحث عن راحتي وأنا أبحث عن (حامن دو) وكل تلك الألغاز.. ولكن سعادته بالانتصار لم تدم كثيرًا؛ فقد أزعجني صوت الهاتف حينما أوقظني في الثلث الأخير من الليل.. كان المتصل رقم غير معروف unkown.. من هذا السخيف الذي يتصل بي في ذلك الوقت المتأخر.. أجبت إلحاحه الشديد وعقلي ينهال عليه بالسباب..

-ألو..لم يجبني أحد،كررتها أكثر من مرة قبل أن أغلق الخط.. عاود ذلك الرقم الاتصال ولكن تلك المرة سمعت ترانيم تصدر من بعيد يتخللها صوت بكاء وانتحاب قطعها صوت هادئ لا يليق بكل تلك الهواجس في عقلي.

-ألو..

-أيوة مين معايا؟!!

-أنا ميرنا.. ميرنا الأسيوطي.

- ميرنا مين؟ تساءلت متعجبًا بعد فحص سريع لأسامي معارفي لم يكن فهم اسم ميرنا على الإطلاق أو على الأقل في فترة الست سنوات الماضية ..

- أنا ميرنا أخت مايكل الأسيوطي زميلك في الكلية.

تذكرتها!!! وتذكرت مايكل، الأخوان الأسيوطي كما كنت أسميهما أيام الدراسة.. مايكل كان صديقًا عزيزًا لي.

لم نكن نتفارق في أيام دراستنا، ولكن بعد عودته إلى أسيوط انقطعت عني أخباره عدا تلك الاتصالات في المناسبات لهنئني بها .

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- ميرنا !! ازيك.. من زمان مسمعتش صوتك أنا آسف.

- أنا اللي آسفةإني بكلمك في الوقت ده يا يوسف.

- خير يا ميرنا في إيه؟ إيه اللي مخليكي تتصلي بيا في الوقت ده.

- يوسف.. مايكل تعبان أوي وطالب إنه يشوفك دلوقتي..

- إيه اللي حصل يا ميرنا وإيه الأصوات اللي جنبك دي.

- ده قداس عاملينه في البيت لمايكل !!.. لما تيجي هتفهم كل حاجة.. أرجوك متتأخرش.

- حاضر.. حاضر أنا هاجي دلوقتي حالًا..

أنهيت المكالمة مع ميرنا وأنا لا أعرف ما الذي حدث له.. مايكل كان دائمًا يتمتع بقوة بدنية يحسده أصدقاؤنا عليها.. لا يمكن أن يصاب بالمرض في ذلك العمر.. أسرعت في ارتداء ملابسي والتقطت علبة السجائر وبعض الورق والقلم لأستعين بهما على طول الطريق من القاهرة إلى أسيوط .

الرحلة إلى أسيوط تستغرق ست ساعات بالقطار.. استقليت أول قطار متجه إلى أسيوط متخذًا مقعدًا بجوار النافذة.. عربة القطار تكاد تكون فارغة إلا من بضع المسافرين.. تحرك القطار يقطع بصوته السكون المحيط بالمكان كما يقطع الأراضي الفضاء خارج حدود القاهرة وتطل من بعيد تلك المزارع الخضراء تداعب ثمارها أشعة الشمس.. بعد أن هرب النوم من جفوني سرحت في أيام الدراسة، أيام صحبتي بمايكل وأخته ميرنا، تذكرت كل تفاصيل حياتنا في ذلك الوقت، ضحكاتنا وجملنا

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

الشهيرة زيارات عم أحمد لنا في كافيتريا الكليه يطالبنا بخفض أصواتنا.. وتذكرت سمر!! أكثر ما يميّز ذلك الماضي الذي رغبت أن أمحوها منه.

قرأت ذات مرة أنك إذا رغبت في نسيان شخصٍ ما، عاتبه في رسائلك.أفرغ شحنة غضبك منه على الأوراق، اجعله يخرج من دمائك مع كل قطرة حبر تخرج من قلمك.. لم أتردد في تجربة تلك الفكرة وأمسكت الورق والقلم وبدأت أكتب:

((توقفي عن عبثك الملعون بصفحات ذاكرتي.. لن تعيدي يومًا واحدًا منه على صفحات مستقبلي.. لن أسمح أن يطلّ شبحك على سمائي ليعكر صفوها.. أنتِ ذكرى تحت الرمال دفنتِ وسلسلتِ بألف قيد وكبّلت كلتا يديك.. لا تظني بعبثك بالرمال سوف تقيمين عاصفة في بحر ذاكرتي.. اقبعي بين ثنايا صفحات ذاكرتي المظلمة لن تري شمسًا ولا قمرًا، لن يكون لكِ وجود بين الأحياء في عقلي.. اندثري في هدوء..))

كتبت تلك الكلمات مقوّيًا نفسي بسامية.. لايمكن لي أن ألتفت للماضي الذي خان بل أبدأ من جديد أدمر كل ملامح الماضي التي تجمعني بها.. لكن الآن لايمكنني الهروب من طلب شخص من أعز الناس إلى قلبي.

(مايكل) رمز لعفوان الشباب وأخته الجميلة (ميرنا) يكمن فيها هدوء إلهة الجمال (فينوس) عند الرومان وشموخ كليوباترا وذكاء حتشبسوت..

مرت محطات القطار سريعًا، وكلما اقتربت أكثر من (أسيوط) تعمقت أكثر في الماضي استحضرت كل مافيه وكانني اليوم عدت إلى سن العشرين من عمري قبل أن تظهر الحياة ملامح وجهها الجامد، حينما كانت غضة بسيطة..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

استقبلت أسيوط بحرارة شمسها القاسية.. لفحت وجهي بمجرد أن وطأت قدمي أرضها.. أرادت أن تخرجني من بئر الذكريات ولا يمكنني أن أنكر أنها نجحت في ذلك.. تغيرت ملامحها كثيرًا منذ آخر مرة أتيت فيها لزيارة (مايكل) أصبحت عمائرها أكثر جمالًا وشوارعها زادت تألقًا، ناهيك عن طيبة أهلها وشهامتهم.. لم تتغير طبيعة الفراعنة فيهم وكأنها تسري في دمائهم.

منزل (مايكل) يقع على الضفة الغربية من النيل.. ويعد أهله من كبار عائلات أسيوط؛ فلم يكن من الصعب عليّ إرشاد سائق التاكسي على الطريق.. توقفت السيارة أمام منزله لم يتغير كثيرًا سوى تلك الأشجار التي زادت كثافتها حول المنزل تضيف عليه لمسة من الوفاء للطبيعة وفخامة يمكن أن تستشعرها بمجرد النظر إلى المنزل..

تجمع العديد من أهل البلدة حول المنزل يترقبون نتيجة القداس يقفون في خشوع صامتين كالأصنام في أحد المعابد التي تمتلئ بها المحافظة..لم أمر بدون أن تتبعني نظراتهم ..من ذاك الذي يخترق حرمة صمتهم يقرع جرس الباب بيديه؟!! بل يدنس حرمة أرضهم بعقب سيجارته التي أغشى دخانها أعينهم الحائرة.. لم يخرجهم من تلك الحيرة إلا (ميرنا) حين فتحت لي الباب مرحِّبة سامحة لي بدخول إلى المنزل..أخرجتهم من حيرتهم وأدخلتني أنا في حيرة!!! لم تتغير كثيرًا نفس جمال فينوس لم ينتقص منه شئ

- يوسف حمد لله على سلامتك كويس إن أنت وصلت دلوقتي، مايكل لسه سائل عليك.

- خير يا ميرنا في إيه.. مايكل ماله؟

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

سحبني من ذراعي في رقة لتصل بي على بداية السلم المؤدي إلى الحجرات في الطابق العلوي من المنزل.

- مايكل تعبان بقاله فترة.. بيدخل في غيبوبة وكل ما يفوق منها يطلبإنه يشوفك.. في الأول فكرنا إن الموضوع عادي مجرد تخاريف من السخونية لكن الموضوع زاد أوي.. لغاية قبل ما أكلمك فاق وبقى كويس جدًا وسأل عليك وقال إنه عايز يشوفك وإن الموضوع مش مستحمل تأخير.. ومفيش حاجة بسيطة ورجع دخل في الغيبوبة تاني..

كانت الدموع تملأ عينيها المرهقتين وهي تسرد قصة أخيها ويداها ترتعشان.

- والدكاترة قالوا إيه لما شافوه؟

- محدش عارف هو عنده إيه!! كلهم بيأكدوا إن كل أجهزته سليمة.. دلوقتي ابونا (مرقس) عامله قداس فوق.. معادش قدامنا حاجة إلا إننا نصلي وندعيله يا يوسف.

انهمرت ميرنا في البكاء وزاد ارتعاش يديها، تبدو وأنها فاقدة الأمل في الحياة، كرهت كل ما يصلها بها، رأيت في نظرة عينيها رغبتها في الاختفاء تاركة كل ما تحمله وراء ظهرها وترحل.. استجابت ميرنا لي حين ضمّتها إلى صدري محاولًا أن أهدئ من روعها وكأنها كانت في احتياج إلى من يحمل عنها ثقل حمولها.. وكأنها تيقنت الموقف فابتعدت عن صدري وهي تجفف دموعها المنهمرة وترسم ابتسامة على شفتيها تجعلها كطفل حزين فقد إحدى ألعابه العزيزة..

- أول ما القداس يخلص تقدر تطلع تشوف مايكل.. اتفضل في الصالون يا يوسف

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

pÂ~åâEÇ=Aó=`~ãpÂ~åâEê

توجهنا سويًا إلى الصالون المجاور للسلم واستقرت بهدوء إلى جواري..

- تشرب إيه يا يوسف؟ لسه زي زمان بتحب القهوة؟

أجبتها مبتسمًا أحاول أن أهدئ تلك الأجواء قليلًا:

- حد يقدر يسيب حبيبته.. لسه بحبها طبعًا.

طلبت من الخادمة أن تعد لنا فنجانين من القهوة.. أرادت أن تشاركني مذاقها كما كانت تشاركني إياها في الدراسة.

-اتجوزت يا يوسف؟!

- لا..

- ازاي ؟!! كل المدة دي ومتجوزتش.

-أها.. تقدري تقولي كده لسه مش لاقي واحده مناسبة.

-يوسف المصري مش لاقي واحده مناسبة ؟ طب ازاي ده كل الدفعة كان نفسها بس إن أنت تبصلهم.

- لا ده كان زمان.. دلوقتي خلاص عايش للكتابة وبس.. طمنيني انتي عليكي.. اتجوزتي؟

- اتجوزت واتطلقت.. مدنى طبعاً

- ليه إيه اللي حصل؟

- كان راجل أعمال.. عايز واحدة تعيش معاه تونسه وخلاص يرجع من شغله يلاقيها مستنياه.

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- خلفني منه؟

- لا.. كده أحسن مش عايزة أي حاجة تربطني بيه تاني.

- معلش بكرة تلاقي الاحسن منه ويقدرك.

- وانت كمان تلاقي اللي تستاهلك.

قطع كلامنا دخول الخادمة حاملة فنجاني القهوة على الطريقة الأسيوطية نفوح رائحتها وتناديني لإشعال سيجارة..

مرت دقائق أتامل فيها تصاعد الدخان دون أن أنطق بكلمة، وكذلك فعلت (ميرنا).. صوت الدعاء بالأعلى يشير إلى أن القداس قد شارف على الانتهاء.. حاولت ميرنا أن تنهي ذلك الصمت بسؤالها عن (سمر) !!

- تعرف حاجة عن (سمر)؟!

حاولت أن أظهر بمظهر القوي غير المكترث بسؤالها وأن أجاوب بكل قوة.

- اللي اعرفه إنها اشتغلت في حقوق الإنسان.. حتى كان في حفلة قريب أنا كنت فيها وشوفتها بس متكلمناش.

- اتجوزت؟

- ياه انتي لسه فاكرة.. مطولتش بعد ماسيبنا بعض اتخطبت وبعدها اتجوزت على طول.

- معلش يا يوسف.. هي أصلًا مكنتش تستاهلك وياما قولتلك الكلام ده.

- يا ربتني سمعت كلامك ساعتها.. يالا ربنا يوفقها.

pÂ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

الحقيقةإن (ميرنا) كانت لا تستطيع تقبُّل (سمر) والأخرى كانت تبادلها نفس الشعور على الرغم من اجتماعتهما سويًّا كان يملؤها الضحك دائمًا.. عجبًا لأمر بنات حواء دائمًا يظهرن المحبة ويخفين في قلوبهن عكسها..

انتهى القساوسة من قداسهم وأخذوا ينزلون واحدًا تلو الآخر على السلم الخرساني الأنيق.. يوزعون بركاتهم في أرجاء المنزل يصاحبها تمتمات دينية متبوعة بتصليبهم للهواء..

توجهت ميرنا إلى يد الأب (مرقس) تقبِّلها وتستفسر عن حالةأخيها فوضع يده على كفها يطمئنها بعبارته:

(ما بين أيادي الرب مينفعش نخاف عليه.. خليكي مؤمنة)

عبارته لم تجعل (ميرنا) هادئة كما اعتقد بل انفجرت في البكاء وكأنه نوّه إليها بأن لا أمل في شفاء (مايكل).

توجَّه إلى أحد القساوسة يخاطبني:

- أكيد أنت يوسف؟

-أيوة.

- حاول تتكلم معاه..مايكل مالوش سيرة غيرك.. اتفضل اطلعله.

أومأت برأسي موافقًا على طلبه وتوجهت صاعدًا السلم المؤدي إلى حجرته الممتلئة بدخان البخور والمزينة بصور المسيح والصلبان المعلقة على الحائط ومايكل مستلقٍ على سريره في جلبابه الصعيدي.. تغيرت ملامح وجهه كثيرًا وطالت لحيته وشعره.. لا يمكن أن يكون هو مايكل!! خلف

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

ذلك الجسد الهزيل وتلكما العينين اللتين غاصتا في محجريهما.. اقتربت بهدوء منه أناديه باسمه:

- مايكل.. مايكل.. فوق أنا يوسف .

تحركت عيناه تحت جفنيه المتعبين مستجيبًا لندائي.. حاول أن يرفعهما فأبيا أن يطيعاه.. حاولت أن أرفع جسده لأريحه على الوسادة الموضوعة خلف ظهره.. استجاب لي في هدوء وقاوم ضعفه حتى فتح عينه ونظر لي.. حاول جاهدًا أن يصنع ابتسامة على خديه ولكنه فشل.

- مالك يا مايكل؟.. أنت هتدلع بقى أنت زي الفل أهو .

تحركت شفتاه تحاولان أن تخرج الكلمات من على لسانه الجاف؛ فخرج منه فحيح كدت أن أميز معالمه:

- يوسف.. الحمد لله إن أنت جيت.

- مالك يا مايكل في إيه؟

زادت معاناته وهو يحاول أن يخاطبني، ولكن صوته بدا في الوضوح أكثر فأكثر، كلمته لولا أنه رددها أكثر من مرة لظننت أني أحلم أو أن الحمى قد ضربت خلايا مخه مرة أخرى .

-(حامن ... دو).. كان هنا..

- إيه؟!!

- جه وكلمني.. ابعد عنه يا يوسف.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

كلمات (مايكل) أصابت لساني بالشلل.. لم أنطق بكلمه.. ما دخل (حامن دو) ب (مايكل) وكيف يأتيه ..قاومت عجز لساني وأكملت:

- مايكل أنت تعرف (حامن دو) منين؟؟ إيه الحكاية يا مايكل بالظبط ؟!!

- حامن دو معانا دلوقتي.. هو اللي طلب مني أجيبك.. دي مش أول مرة يجي هنا.

أشاح بنظره إلى ركن الغرفة المظلم وأشحت نظري معه، ولكني لم أرَ أمرًا غريبًا، لم أكن أرى سوى تلك الأريكة المذهبة ملقى عليها ملاءة قديمة .

- أنا مش شايف حاجة يا مايكل.. مش مهم جالك ازاي وقالك إيه؟

تغيرت ملامح مايكل وكأن الروح قد دبَّت فيه، أرجعت رأسي للوراء من هول صرخته التي ارتجت لها أركان المنزل.. اقترب من وجهي وأمسكه بيده وكأنه يعتصره بين كفيه.. تغيَّر صوته وجهر يقطع السكون بضحكاته العالية..

-أخبرتك بالتوقف عن عبثك.. مايكل ماهو إلا البداية.. روحه الآن هي روحي.. بعني اقترب أكثر مما تتخيل.

كان نفس الصوت الذي خاطبني في ذلك الحلم.. أعرفه جيدًا صوت (حامن دو).. فررت من قبضته متراجعًا أحاول الهروب من الغرفة.. بابها مغلق!!! وصراخي لا يجيب عليه أحد.. اقترب مني(حامن دو).. ونظر في عيني وكأنه يخترق كياني..

- احذر من غضبي!! ليست تلك سوى البداية.

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

قال كلمته قبل أن ينهار جسد (مايكل) على الأرض ويرتطم رأسه بأرضية الغرفة الخشبية.. توقفت عاجزًا عن الصراخ ليس رغبة مني في الصمت، ولكني لم أشعر بحنجرتي ولا الهواء في صدري، كل ما كنت أفعله أن أنظر إلى جسد صاحبي وهو ملقى على الأرض.. مرت ثوانٍ وكأنها قرون قبل أن يتحرك جسد مايكل على الأرض،حاولت أن أتماسك وأن أساعده على النهوض وكأنه فوجئ برؤيتي..

- يوسف المصري؟!!!

ارتسمت علامات الفرح على وجه مايكل، كانت صادقة وكأنه لم يرني منذ بضع دقائق.

-أيوة يا مايكل.. يوسف المصري.

عانقني مايكل بقوته المعهودة رغم جسده الهزيل وأنا كالورقة بين يديه وقد ملأ العرق جبهتي ولهثت أنفاسي كأني ركضت آلاف الأميال..

- واحشني يا يوسف واحشني.. بس أنت إيه اللي جابك؟

- ميرنا كلمتني وقالتلي إنك تعبان جيت أطمن عليك.

- فيك الخير يا يوسف..

- مالك يا مايكل في إيه؟

- شوية برد بس باين إنهم كانوا جامدين أوي.. أنا الحمد لله كويس.

- برد ؟!!

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- بقالي بتاع أسبوعين مش قادر أمشي وزي مانت شايف كل ما أجي أمشي أقع ..

لا يبدو أن كل ما رأيته هو مجرد نزلة برد أصيب بها.. ولكن لا بأس بمجاراته فيبدو عليه أنه استعاد عافيته ويبدو عليّ أني بدأت في التفكير فيما رأيت .

- طب يلا بينا ننزل نطمنهم عليك عشان قلقانين عليك أوي.

توجهت أنا ومايكل عبر باب غرفته متجهين إلى السلم وماإن رأتنا (ميرنا) حتى أسرعت إلينا تساعدني في إسناد أخيها وقد اختلطت مشاعر الحزن بالفرح؛ لم تكن تتصور أنها سوف ترى أخاها على قدميه مرة أخرى، وانطلقت الخادمة في نشر زغاريدها في كل أرجاء المكان تبعه إطلاق الأعيرة النارية خارج المنزل فرحًا بعودة مايكل إلى الحياة.. كنا قد وصلنا إلى الصالون حيث ألقى مايكل جسده على الأريكه ليستريح وسط ابتسامات.

(ميرنا) وفرحتها بشفاء أخيها:

- وشك حلو أوي يا يوسف.. أنا مش عارفة أقولك إيه .

- متقوليلش حاجة هو كان بيتدلع شوية بس عشان يشوفني..يا أخي ما أنت لو عايز تشوفني كلمني وأنا في ساعتها أكون عندك..

ابتسم مايكل ردًّا على كلماتي وبادلته بسمته واشتركت (ميرنا) معنا في الابتسام.. امتلأ الجو بالبهجة بعد الحزن.. ولم يتوقف إطلاق الأعيرة النارية في الخارج، وأقبلت النساء تودعنها بالزغاريد .

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

وسط كل تلك الاحتفالات دقّ هاتفي يحمل صوت سامية.. لقد نسيت إخبارها بسفري اليوم.

- صباح الخير يا يوسف ازيك؟

- الحمد لله ازيك انتي يا سامية عاملة إيه؟

- أنا الحمد لله كويسة.. إيه الدوشة اللي جنبك دي؟ أنت فين ؟

- لا دي حكاية طويلة هحكيهالك لما أرجع.. أنا أصلًا في أسيوط دلوقتي عند واحد صاحبي كنت بزوره.

-أسيوط !! إييه إلى وداك أسيوط يا يوسف وفجأة كده ؟ ومقولتيش ليه اللي أنت مسافر؟

- مش بقولك حكايه كبيرة.. لما أرجع هقولك.

- وناوي ترجع إمتى؟

- أنا همشي من عنده دلوقتي وراجع.

- طيب خلي بالك من نفسك ولما توصل طمني.

- حاضر..

أنهيت حديثي مع سامية حين انتشلتني منه (ميرنا).

- نتغدى سوا بقى يا يوسف زي أيام زمان.

- لا مش هقدر خلها مرة تانية.. لازم ألحق القطر دلوقتي.

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- ازاي اللي أنت بتقوله ده.. أنت مش هتمشي من هنا.

ختمت كلمتها بإشارة آمرة في تغنج وتوجهت إلى الخادمة تعطيها الأمر في إعداد المائدة تاركة إياي مع (مايكل)

- حمد لله بالسلامة يا بطل.. (مايكل) مينفعش أشوفه كده فاكر أيام زمان يا مايكل ؟

- ياه يا يوسف ودي أيام تتنسي.. أحلى ذكريات الواحد عشتها في الأيام دي.. طمني عليك يا يوسف وعلى أحوالك؟

- أنا الحمد لله كويس.. متقلقش عليا المهم أنت تكون بخير.. بس قولي يا (مايكل) أنت مش فاكر أنت تعبت ازاي أو إيه اللي حصلك الفترة اللي أنت كنت تعبان ..

-أبدًا يا يوسف أنا كنت راجع من البلد بتطمن على الأرض والناس دخلت البيت لاقيت نفسي مش داري بيا، وقعت من طولي جروا عليا طلعوني الأوضة.. ومن ساعتها وأنا كنت حاسس إني في دنيا غير الدنيا كأن شوك بينتش في لحمي من جوه وكوابيس ملهاش حصر.. الحمد لله إنها عدت على خير..

- حمد لله بسلامتك يا (مايكل)

- ربنا يخليك يا يوسف أنا عمري ما هنسى وقفتك دي معايا .

أنهت (ميرنا) إعدادها لمائدة الطعام واصطحبي إليها مايكل منه الاّ بعبارت الترحيب الصادقة..

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

تعجبت من سرعة إعدادهم للطعام بالنسبة لما اشتملت عليه المائدة من طيور متنوعة بين حمام وبط وأوز والطبق العملاق الممتلئ بالأرز بالخلطة وأصناف المحاشي المتنوعة.. كل ذلك الطعام يحتاج إلى قافلة من النساء لتقوم بإعداده وهذا ما حدث فعلًا.. فكل المنازل المجاورة قد شاركت في إعداد الطعام ترحيبا بي.

(وش السعد) وفرحًا بشفاء مايكل..

على المائدة، أخذ مايكل في الحديث مع أخته عن أهل البلد وعن طباعهم بوجه حديثه إلى تارة وإليها تارة، شعر بقيمته بين أهالي البلد وكأنه ملك رُفع على الأعناق..

شعرت (ميرنا) بثرثرة أخيها.. فقاطعته:

- هنفضل نتكلم كتير بقى ولا إيه يا سي مايكل.. اتفضل كل أنت محتاج تتغذى اليومين الجايين دول عشان تعوّض اللي فات.. وأنت يا يوسف محتاج عزومة ولا إيه؟!!

- لا أبدًا.. أنا صاحب بيت مش ضيف بس كتير أوي اللي انتوا عاملينه ده.

- متقولش كده يا يوسف.. ده أنا لو أطول أجيلك نجوم السما كنت جبتها كفاية وشك الحلو علينا.

- مجرد إني أشوفكوا النهارده دي عندي بالدنيا كلها..

ابتسمت ميرنا بهدوء.. بعد الانتهاء من الطعام أصرَّ مايكل على شرب الشاي سويًا بين أهالي البلد في حديقة منزله الخارجية؛ فقد اشتاق لأحاديثهم.. وبالفعل اصطحبني للخارج حيث قابله أهل البلد بنفس الأعيرة

النارية وسط هتافات الترحيب ودفق من السلامات الحارة والدعاء له بطول العمر والصحة.. مايكل محبوب جدًّا بين أهل بلدته وحقًّا يستحق ذلك لحسن خلقه وشهامته.

بعد أن استرحنا في الحديقة والتفّ أهل البلد جالسين حولنا يتصدرهم كبائرهم وأهل الرأي فيهم، بدأ الحاج محمود الحديث.. رجل يبدو عليه الثراء بدا ذلك واضحًا من عباءته التي يرتديها وعمته المنمقة وحتى الحرس من خلفه.. حوالي سبعة رجال ظهروا بنفس مظهره اصطفوا يميننا ويسارنا.

- حمد لله بسلامتك يا أستاذ مايكل.. احنا كلنا قلقنا عليك يا راجل.

مايكل: تشكر يا حاج محمود طول عمرك أصيل وصاحب واجب.

الحاج أحمد شطا: الأهم يا مايكل يبني تخلي بالك من صحتك وملهاش لزمة اللفة بتاعت كل يوم دي مش كده ولا إيه يا أستاذ ؟.. وجَّه سؤاله لي.

- طبعًا يا حاج لازم يخلي باله من نفسه خصوصًا بعد ماشاف غلاوته عند كل الناس دي إيه.

- ربنا يخليكو يا جماعة.. أنا بجد مش عارف أشكركوا ازاي.

- متقولش كده يا مايكل ده احنا أهلك وناسك مين غيرنا يكون قريب منك.. بس أنت معرفتناش على الأستاذ ..

كان هذا هو الحاج (هشام أبو سليمة) أحد كبار البلدة.. صوته جهوري سميك الحاجبين وعيناه جاحظتان، تبدو عليه القوة والنفوذ بمجرد أن رأيته وقد عرفت قدره العالي عند أهل القرية، رجل له هيبة..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- ده الأستاذ يوسف زميل عمري من أيام الدراسة يا حاج هشام.

- اتشرفنا بيك يا أستاذ يوسف.. البلد كلها نورت.. أنا الحاج هشام.. تاجر غلال.

- الشرف ليا يا حاج..وسعيد أن اتشرفت بمعرفتكوا كلكوا.

نبع كلمة تاجر غلال تغير ملامح بضعة من كبار البلد وكأنهم أرادوا أن يعقبوا على كلمته ولم يجرؤ على هذا إلا الحاج (منصور الكرداوي) رجل لا يقل في هيبته عن الحاج (هشام) حتى إن الشبه بينهما قريب: نفس جحوظ العينين وسماكه الحاجبين..

- مش غلال بس يا حاج هشام.. ده أنت تاجر في كل حاجة.

- تقصد إيه يا حاج منصور ؟

- مقصدش حاجة يا هشام أنت عارف وأنا عارف..

تغيرت ملامح وجه هشام، يبدو أنه قد أفشى سرًا من أسراره وارتفع الدم في وجهه قبل أن يحاول رد اعتباره أمام الجمع الغفير..

- أنا بتاجر في كل حاجة واللي متضايق يعمل زيي.

كانت تلك الكلمات قادرة على أن تثير غضب الحاج منصور الذي استعدل في جلسته قبل أن يخرج كلماته من فمه..

- مش الحاج منصور اللي يتقاله إنه متضايق.. كلامنا مش هيكون قدام الناس يا هشام..

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

تقضي العادات في مدن الصعيد أن يدير دفة الحوار صاحب المنزل وهذا ما فعله (مايكل) حينما استشعر أن الأمور قد خرجت عن طور السيطرة..

- إيه يا جماعة ماتستهدوا بالله.. لو في حاجة نتكلم فيها ما بينا.. اتفضلوا نتكلم جوة.

قام مايكل من مجلسه محييًا الناس شاكرًا لهم وجودهم معه طيلة فترة مرضه.. وخوفهم عليه.

اصطحبنا مايكل إلى الداخل ومعنا الحاج منصور والحاج هشام متوجهًا إلى صالون منزله، أما باقي كبار البلدة؛ فقد دعوا لمايكل بالشفاء وانصرفوا..

وبدأ الحوار.

مايكل: خير يا حاج منصور في إيه؟

منصور: اسأل الحاج هشام هو بيتاجر في إيه وهو يقولك؟

هشام: إيه اللي مضايقك يا منصور.. ما اتاجر في اللي أنا عايزة اللي بيطلع من أرضي بتاعي وأنا حر فيه..

منصور: ده لما يكون ملكك أنت اللي صانعه أو أنت اللي زارعه مش ملك غيرك يا حاج ..

كلماته ازادت حدة.. وهو يركز بنظره في مقلتي هشام.. تدخل مايكل في الحديث موجهًا كلامه إلى الحاج هشام.

مايكل: إيه الموضوع يا حاج (هشام)، الحاج (منصور) متضايق من إيه؟

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

pÅ~ååEÇ=Äó=`~ãpÅ~ååÉê

هشام: بص يا أستاذ مايكل.. دلوقتي اللي ينبش في أرضه ويلاقي فيها حاجة مش تبقى بتاعته؟

مايكل:حاجة زي إيه يا حاج في أسيوط بالذات أنت عارف وأنا عارف إن دي بتفرق.

منصور: ينصر دينك يا ولدي.. أهو قالك يا هشام إنها بتفرق.

هشام: لا أنت دماغك راحت لبعيد أوي يا أستاذ مايكل.. اللي لاقيته كلام فاضي.. خاتم دهب على خنجر مش حاجة فرعوني زي ما أنت مفكر..

لا أنكر أني للحظات شككت في أن الحديث يدور على قطعة أثرية.. أحد التماثيل الصغيرة أو تلك المقابر الفرعونية التي تملأ المكان نظرًا لأن أسيوط واحدة من أقدم المدن المصرية ونشأت فيها حضارة فرعونية عريقة لأنها كانت مقرًا لنائب الفرعون في أحد العصور.. وأيضًا ظنَّ مايكل مثل ظني.. ولكن يظل السؤال باقيًا.. قطع ذهبية أيًا كان شكلها؛ فهي تعتبر من الآثار مادامت من القدم ما يجعلها أثرية.

مايكل: عمرها قدّ إيه يا حاج؟

هشام: مش كتير.. مش زي ما انتوا مفكرين.. أنا رحت لعيسى الجواهرجي وقالي إنها حسبة ميتين تلتمية سنة بالكتير.

منصور: سامع يا مايكل.. بيقولك ميتين تلتمية سنة وكده أنت مش عايزها تبقى أثر يا هشام ؟

هشام: لا مش فرعوني يا منصور يعني الحكومة ملهاش دعوة بيها.. الحكومة ملهاش دعوة بحاجة إلا لو كانت من ريحة الفراعنة.

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

وجهة نظر الحاج منصور للآثار هو كل ما ينتمي للحضارة الفرعونية فقط لا غير وأن ما دون ذلك فهي تُحَف يجوز الاحتفاظ بها أو حتى بيعها بأي طريقة كانت.

مايكل: طب يا حاج هشام أنت عرفت منين أنها مش فرعوني؟

هشام: يا مايكل يا ابني احنا نعرف الفرعوني من اللي مش فرعوني بمجرد إننا نشوفه بس.. ده غير إن الكلام اللي عليه مش نقوشهم ده منقوش بحاجة تانية خالص..

منصور: اللي أنت بتقوله ده يا هشام ميصحش مش احنا اللي نبيع تراث بلادنا.. حاجة قديمة في أرضنا تبقى ملك الدولة..

هشام: هيقولي تاني ملك الدولة.. وبعدين الحتة خلاص تقدر تقول عليها إنها اتباعت وجالي فيها سعر كويس.. قفّل بقى على الموضوع ده يا منصور.

مايكل: طيب اهدوا يا جماعة.. يا حاج هشام الحتة دي لسه عندك ولا اتباعت؟!

هشام: لا لسه معايا أنا مبمشيش من غيرها.. وعشان أنت عزيز عليا هوريهالك يا أستاذ مايكل .

مدَّ الحاج (هشام) يديه على جيب عباءته الداخلي وأخرج خاتمًا ذهبيًّا بدت لي نقوشه من موقعي بجوار مايكل، ولكن لم أستطع أن أبيّن ملامحه حتى أمسكه مايكل في يده وأخذ يتفحصه عندها انتفضت من مكاني حين رأيت نقوشه العبرية، وتلك النقوش التي طالما رأيتها في أحلامي وصدقتها زيارتي إلى المعبد..

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

قلب مايكل الخاتم بين أصابعه.. ثم توجه بالسؤال إلى الحاج (هشام)..

مايكل: الخاتم ده شكله غريب ومالوش دعوة بالفراعنة.. بس مين اللي هيشتري حاجة زي كده؟

قاطعهم منصور وقد بدا على ملامح وجهه الامتعاض..

منصور: واحد خاين طبعًا أو واحد خواجة من اللي عايزين ينهبوا البلد ويمسحوا معالمها.

هشام: الله.. ماتهدي بقى يا منصور.. وأنت متضايق كده ليه يا أخي؟

منصور: يا هشام أنت راجل طول عمرك سمعتك زي البرلنت.. وأنت عارف إن أنت عزيز عليا ومحبش إن في يوم من الأيام تلوث سمعتك بإيدك يا أخي !!

كلمات صادقة من الحاج (منصور) في معزة الحاج (هشام) كانت واضحة في كلماته ونظرات عينيه له.

هشام: الموضوع انتهى خلاص يا منصور وأنا أديت كلمة للراجل وهيجي يستلمه كمان.

مايكل: طيب أنت تعرف الراجل ده منين، ولا هو منين أصلًا ؟!!

وضع مايكل يده على السؤال الذي كدت أن أنطق به فضولي يمزقني لأعرف من هو الرجل ولابد أن له علاقة بما أبحث عنه من أسرار، ومع ذلك رسمت الهدوء على وجهي وكأني غير آبه لكلامهم..

هشام: واحد معرفة جابوهولي.. راجل غاوي تحف عايش برة مصر.

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

مايكل: طيب أنت إيه اللي مخليك متأكد منه أوي كده يا حاج، مش يمكن مدسوس من الحكومة عليك؟

هشام: لا يا مايكل يابني أنا واثق فيه زي ما واثق فيك بالظبط..

يبدو أن لا سبيل لإقناع الحاج هشام عن بيعته.. ولكن يجب أن أحصل على اسم ذلك الرجل والوضع العام يشير إلى أن الموضوع في سبيله للانتهاء.. لابد أن أتدخل:

- قولي يا حاج منصور ولا مؤاخدة إني اتدخلت في كلامكم.. الراجل ده اسمه إيه؟

- يا أستاذ هيفيدك بإيه اسمه؟ أنت عايز تشتري ولا إيه؟

أتبع كلماته بضحكة مغلِقًا لي سبيل المعرفة.. حتى جاء النصر من الحاج منصور.

- اسمه (الضبع) مش كده يا هشام؟

- لا مش كده يا منصور الضبع مالوش دعوة باللي بيدور.. الراجل عرّفني على المشتري وهياخد حسنته وخلاص.. وقفلوا على الموضوع ده بقى ونسيب مايكل يستريح.

بالفعل صمت الجميع.. قبل أن يقوم كلٌّ من الحاج منصور والحاج هشام يحيّون مايكل ويتمنون له الصحة وطول العمر.. ابتسم لي الحاج هشام قبل أن يلحق بصديقه الحاج منصور قائلًا:

- يا أستاذ لو احتجت حاجة من الحاجات دي قولي.. عينيك نورت لما شوفته.. أنا أعرف الشاري أول ما أشوفه..

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

- أنا كل اللي عايز أعرفه مين اللي هيشتري يا حاج..

- بص يا ولدي.. أنا ميهمنيش أنت عايز تعرفه ليه بس صدقني أنا كمان ولا أعرفه، كل معرفتي بيه إن اسمه(كمال الهنساوي) ملياردير عايش في بلاد بره.. حتى الضبع نفسه مشافوش.. خلينا نشوفك بخير.

قال كلمته قابضًا على يدي.. وتوجَّه إلى مدخل الباب مغادرًا المنزل.

جلست والفضول قد انتشر في جسدي محاولًا الوصل لبعض الحقيقة.. الخاتم له علاقة بما أبحث عنه.. المعبد.. الكوابيس.. زيارات (حامن دو) لي واحتلاله جسد (مايكل).. كل تلك الخيوط تجمعت معًا لتدلني على الطريق الذي أرغب في السير فيه.. وال (ضبع) هو مفتاح تلك الألغاز..

- أنت تعرف الضبع ده يا مايكل؟

- ده راجل مشهور هنا في البلد.. بيتاجر في كل حاجه من ورا الحكومة سلاح.. مخدرات.. آثار كل حاجة.. بس أنت بتسال ليه؟

- عايز اقابله ؟

- وانت عايز إيه من راجل زي ده يا يوسف؟ اللعب معاه مش سهل..

- معلش حاجة كده شغلاني ومش هعرفها إلا منه.

كانت حالة مايكل الصحية تجعله قليل الكلام أو غير مهتم بكل كلامي، وأمام إلحاحي على مقابلته،وافق مايكل على أن يتصل به ويخبره بأن صديقًا له يريد أن يقابله !!

pÅ~ååÉÇ=Aó=`~ãpÅ~ååÉê

وبالفعل رفع سماعه هاتفه واتصل بـ(الضبع) الذي أخبره أنه بالفعل قادم إليه لهنئه بشفائه معتذرًا عن عدم وجوده مع كبار البلدة لظروف خارجة عن إرادته..

مرت الدقائق بطيئة ورأسي مزدحم بمئات الحكايات التي يمكن أن أبدأ بها حديثي مع(الضبع) استقريت في النهاية أن أبدي حبي للآثار وخاصة الذهبية منها، وأقنعت مايكل بأن يجاريني في ذلك.. مرت الدقائق وطرق الـ(ضبع) على الباب.. رجل سمين لا يبدو مثل باقي أهل البلدة،أبيض اللون يملأ وجهه شارب كثيف الشعر يعوض نقص الشعر في رأسه.. مرتديًا ملابس تليق بأهل القاهرة أكثر منها لأهل البلدة ..قميص من الكتان اعتلته زخارف يدوية الصنع.. وبنطال من خامة الجينز الأزرق.. دخل (الضبع) علينا محييًا مايكل صوته يملأ بهو المكان تغمره السعادة بشفاء مايكل .

-ألف ألف ألف حمد لله بالسلامة يا أستاذ مايكل والله أنا أول ماعرفت الخبر جيت على طول

- متحرمش منك يا ضبع فيك الخير..

ردَّ عليه مايكل مشيرًا له بأن يستقر إلى جواره.

- الأستاذ يوسف أخويا وحبيبي من أيام الكلية جه النهارده من القاهرة عشان يطمن عليا.

-أهلا وسهلًا يا أستاذ يوسف نورت أسيوط كلها.

رددت تحية الضبع بابتسامة هادئة وبعض العبارات الرقيقة.. هو لم يسمعها على أي حال ولم يهتم بها.. أكمل حديثه مع مايكل:

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- والله يا أستاذ مايكل أنت متعرفش أنت عزيز عليا قدّ إيه، والبلد من غيرك ملهاش طعم.

- متحرمش منك يا ضبع.. ربنا يخليك.. ها لسه برضو ماشي في طريقك؟

كانت تلك إشارة البدء من مايكل لنبدأ في الانقضاض على الضبع محاولين معرفة الشاري المجهول.

- يا أستاذ مايكل أنا بعزك بلاش الكلام ده.. ماله طريقي أنا مبضربش حد على إيده عشان يعمل كده.

قال الضبع كلماته ناظرًا إليَّ محاولًا أن يلفت انتباه مايكل إلى وجودي إشارة منه للتوقف عن الحديث.

-أستاذ يوسف مننا وعلينا متخافش.. وبعدين يوسف بيحب الحاجات اللي أنت بتشتغل فيها وبيقدرها.

انفرجت أسارير الضبع بسماعه تلك الكلمات ومايكل يسير على حسب ما اتفقنا عليه تمامًا.

- أنا مش قصدي يا أستاذ مايكل.. بس أنت عارف اللي الحاجات دي بيا أو من غيريأهي ماشية.. الاستاذ يوسف بقى مهتم بأي صنف من الحاجات دي؟!

- الدهب.. بيبحب الحاجات الدهب زي عينيه.

أجاب مايكل عني مجنبني حرجًا يمكن أن أقع فيه إذا حاول الضبع اصطيادي.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

-أه.. ملكش نصيب في حاجة كده كانت معايا.. كانت هتعجبك أوي يا أستاذ يوسف.. حاجة نادرة كده.

بس لو أنت عايز حاجة من دي دلوقتي.. رسيني أنت ومالكش دعوة ..

الفرصة سانحة الآن للانقضاض على الضبع قبل أن يظفر بي.. رسمت على وجهي نظرات الجدية، وحاولت أن أبدو متمرسًا في ذلك المجال:

- حاجة زي إيه يا ضبع؟ لعلمك السوق كله بقى مغشوش الأيام دي.

- لا.. أنت بتقول كده عشان متعاملتش معايا.. إلا أنا يا أستاذ يوسف..

- طب إيه اللي كان عندك مش يمكن يعجبني؟

- لا دي خلاص اتباعت مالوش لزوم الكلام فيها بقى.

الارتياح بادٍ بوضوح على وجه الضبع؛ فليس لديه أي شكوك حول جدية كلامي خصوصًا كوني من طرف مايكل.. رمز من رموز الشهامة في البلد .

- الحاجة وصلته يعني ولا لسه كلام؟

- لا هي من ناحية وصلت فهي موصلتش لكن الموضوع منتهي..

- طب أحب أعاين برضو.. لو عجبتني مستعد أدفع اللي أنت عايزه.

- بص يا أستاذ يوسف في مجالنا ده الراجل بيتربط من كلمته.. وأنا اديت كلمه للناس ولا مؤاخذة يعني أنت من طرف حد غالي عليا أوي بس أنا مش قد الناس دي فمقدرش أرجع في كلامي..

- مين الناس دي يا ضبع؟

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

- لا.. لغاية هنا ومقدرش أقولك.. اعذرني يا أستاذ يوسف.

تدخل (مايكل) في الحوار:

- متخافش يا ضبع.. يوسف عايز يعرفه لأن لو الحتة عجبته ممكن يشتريها من اللي أنت هتبيعهاله ومش هجيب سيرتك.. هو برضو له سككه.

أطرق الضبع قليلًا وزاغت نظراته وبدأ يفكر في مصلحته المالية.. وأكمل:

- بص يا أستاذ يوسف.. الحتة مش معايا دلوقتي بس لو أنت عايزها ممكن أتصرف وأوريهالك دي حاجة، الحاجة التانية بقى.. أنت لو اشتريتها من الراجل ده تبقى برنس وميت فل وعشرة بس حلاوتي اتنين في المية..

اصطنعت التفكير في عرض الضبع.. لا أنكر أني أحببت تمثيلي دور الخبير في ذلك المجال!!.. أشعلت سيجارة وتوجهت بنظري إليه.. وأكملت كلماتي إليه:

- موافق.. بس أشوف الحتة دلوقتي..

- حقك يا أستاذ يوسف.. ربع ساعة وأرجعلك..

- وفي حاجة كمان يا ضبع.. سيرتي متجيش في الموضوع لا أنا ولا مايكل.. وعايز أعرف كل حاجة عن الراجل ده عشان أصرّف أموري.

- عيب يا أستاذ يوسف ده أنا لسه بقولك الراجل بيتربط من كلمته متقلقش من الموضوع ده..

انصرف الضبع وتفرع ذهني فيأمر مختلف تمامًا ألا وهو أن المال يمكن أن يشتري أي شخص وليس غريبًا أن تكون من صفات خائن مثل

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

الضبع،والأغرب أن آخرين قد انصاعوا لشرائهم بالمال.. (تيسير) رئيس اللجنة الهندسية..وسمر!!فخطيبها كان وريثًا لرجل أعمال شهير.. انتشلني(مايكل) قبل أن أستمر في البحث عن الأشخاص الذين استسلموا لقوة المال..

- ها رحت فين يا يوسف؟!!

- لا أبدًا ولا حاجة.. معاك.

- ربع ساعة يا سيدي وتعرف حكاية الراجل ده.. بس برضو مش عايز تقولي إيه الحكاية؟!!

- صدقني موضوع طويل،أول مايخلص هبقى أجي أحكيهولك .

-إوعى يا يوسف تكون متورط في حاجة مع الناس اللي زي دول.

- لا.. لا.. متخافش عليا.. ده حوار تاني خالص.

- طيب يا يوسف أنا مش هضغط عليك بس خلي بالك من نفسك.

- سيبك أنت مني دلوقتي.. حاسس بايه دلوقتي؟

- الحمد لله بدات أتحسن.. أنا مش عارف كان مالي والله .

- الحمد لله إن أنت بخير..

أقبلت ميرنا بوجهها البشوش..

- إيه مزهقتوش من بعض كلده..

- نزهق ازاي بس ده أنا لو قعدت عمري كله مع مايكل مزهقش أبدًا.

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- طيب ما انت فيها متقعد معاه.. واديك شايف البيت يساع من الحبايب الف.

- ربنا يخليكي يا رب ... أنا شوية كده ويا دوب ألحق معاد القطر.

- لا ازاي أنت لازم تبات معانا النهارده.

- معلش مرة تانية.. وبعدين كفايه عليكي مايكل أهو.

- ربنا يخليهولي يا رب ويخليك ليا يا يوسف.

لم تكد الربع ساعة تنقضي حتى دق جرس الباب معلنًا وصول الضبع فغادرت ميرنا جمعنا وتوجهت إلى غرفتها بالأعلى.. أدار الضبع رأسه في المنزل يتأكد من أن لا أحد يراقبه ..

- حاجة بقى هتعجبك أوي يا أستاذ يوسف.. أخرج من جيبه الخاتم الذهبي الذي أرانا إياه الحاج هشام.. نفس النقوش؛ الهرم المنير ومزين بالنقوش العبرية ذاتها على إطاره الخارجي يشبه لحد كبير الختم المرسوم على الأظرف الوافدة في صندوق بريدي.. كانت الفرصة سانحة تمامًا للتدقيق فيه وتمحيصه..

أبديت عدم اهتمامي الزائد بالخاتم، ومع ذلك استطاع الضبع أن يلمح ذلك في بريق عيني عند رؤيته.

- عجبك يا أستاذ يوسف مش كده؟.. باين عليك.. بس متنساش الحلاوة بقى.

- هو يعجب بصراحة يا ضبع.. وشكله غريب.. مين بقى اللي عايز يشتريه ؟

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

-أقولك يا سيدي.. الراجل ده اسمه (كمال البهنساوي) راجل غاوي تحف مصري بس عايش في لندن يجي أكتر من عشرين سنة.. جاي مصر يومين وراجع.. حتى هو بعتلي عنوانه هناك عشان أوصلهوله أنت عارف الناس دي بتخاف تخاطر..

- وعنوانه فين بقى يا ضبع؟!!

أخرج الضبع من جيبه ورقة مطوية مكتوب عليها العنوان ..

(London -St John's Wooddistrict- villa 23)

كل ما أردت معرفته كان في تلك الورقة.. نقلته في دفتري وشكرت الضبع على تعاونه معي.. مؤكدًا على أن مكسبه محفوظ إذا ما تم التوصل لنتيجة مع (كمال البهنساوي).

غادر الضبع مصطحبًا الخاتم وقد انهال بالدعاء لمايكل بداوم الصحة والعافية تعبيرًا عن فرحته بشفائه..

الوقت مناسب لكي ألحق بالقطار المتوجه إلى القاهرة بعد يوم آخر مرهق ومملوء بالألغاز..

ودعت مايكل وميرنا بسلامات حارة واعدهما بأني سوف آتي لزيارتهم مرة أخرى.. أصرَّ مايكل على أن يصطحبني سائقه الخاص إلى محطة القطار..

نجحت في الوصول إلى محطة القطار في الوقت المناسب.. ماإن صعدت على متنه حتى بدأ القطار سيره متوجهًا إلى القاهرة.. لم يكن عدد الركاب يزيد كثيرًا عنهم في رحلة الذهاب.. استقليت مقعدًا بجوار النافذة وأخذت

pÅ~åÅÉÇ=Aó=`~ãpA~ăĂEë

أنظر إلى تلك الحقول اليانعة تمر بجواري تحتضني كما تحتضن الأم وليدها..

الوقت مناسب للاتصال بـ(سامية)أعلم أنها قلقة عليَّ منذ الصباح ومن كثرة الاتصالات التي لم أجِب عليها..

-ألو.. ازيك يا سامية؟

- كل ده يا يوسف بكلمك وانت مبتردش ليه؟

- معلش كنت مشغول هناك.

- طيب أنت كويس ؟

- الحمد لله.. أنا في القطر وراجع مصر اهو.

- طيب الحمد لله اللي أنت بخير.. إيه سر السفرية بقى ؟

-أبدًا واحد صاحبي كان تعبان كلموني بالليل وقالولي إنه عايز يشوفني.. هو دلوقتي بقى كويس.

- طيب يا يوسف مش كنت تقولي.

- محبتش أقلقك بالليل.. انتي عاملة إيه؟

- أنا كويسة الحمد لله.. صحيح عرفت إن المعبد بيترمم؟

- اه.. زرته امبارح ومرضيوش يدخلوني.. بس عرفت أجيب إذن إني أدخله.

- وجبته ازاي؟

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- ليا معارف في الوزارة عرفت أخلص الإجراءات من هناك.

- طيب كويس.. المهم خلي بالك من نفسك.

- حاضر وانتي كمان.

أنهيت المكالمة مع سامية وأنا أعلم أن صوتها ليس ككل مرة.. هناك شيء تخفيه عني سامية !!

بدأت خضرة الطريق تختفي رويدًا رويدًا ويحل محلها صفار الرمال على الجانبين.. لم يعد شيءٌ يغريني، في الطريق حاولت أن أستلقي على الكرسي وأذوق طعم النوم الهادئ.. لن أسمح في تلك المرة أن تزعجني الكوابيس ولا(حامن دو)ولا كل تلك الخطابات المزعجة ولا حتى الخاتم الذهبي.

استسلمت لهدوء النوم وأغفلت عيني وفعلًا لم تراودني أيٌّ من تلك الكوابيس فقط أحلام وردية حلمت فيها بالورود والأشجار وبحيرة ماء، شعرت بجمال الطبيعة يحتضنني وكأني طفل بين يدي أمه..

أزعجني صوت الكمسري وهو يتأكد من التذاكر.. لو يعلم أني في تلك اللحظات كنت أتمتع بأجمل لحظات حياتي منذ فترة لما كان أزعجني وخاطر بإيقاظي من نومتي.. كان عليه أن يتحمل عواقب فعلته من التوبيخ اللا إرادي الذي انهال عليه.. الغريب في الأمر أن صمته أمام توبيخي قد جعلني أشعر بالحرج والضألة فتأسفت له وحاولت تلطيف الأمور بسيجارة كنوع من الود..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

(6)

محطة مصر.. المحطة المزدحمة دائمًا تعج بالمسافرين والوافدين وبالباعة الجائلين، كل تلك الضجة كنت لا أشعر بها وكأني في بالونة زجاجية لا أسمع شيئًا ولا أتكلم.. أرهقني التعب لدرجة جعلتني لا أشعر بصخب الحياة في الشارع المزدحم وغير آبه بضجيج السيارات من حولي ولا سيّما لي بأبواق زماميرها المزعجة.

أخيرًا.. نحجت في الوصول إلى منزلي العتيق ولأول مرة أشعر بذلك الشوق إليه كان عقلي مغيبًا لا يلفت انتباهي أي شيء وكأني سكران حملني رجال البار إلى منزلي لم يلفت نظري شيء حتى وقعت عيناي على صندوق الرسائل..

الصندوق حمل في بطنه خطابين، الأول من وزراة الثقافة مكتوب فيه نص التصريح لدخول المعبد.

أما الثاني فكان سهلًا عليّ توقُّعه مرسل من مجهول كالعادة يحتوي النقوش التي بدأت اعتيادها،ولكن شكل النقوش مختلف عن سوابقها، أما النص بداخله فكان غير اعتياديّ((قابلني في التاسعة بداخل المعبد)) بدون أي توقيع أو إكمال للنص !!

كانت الساعة تجاوزت السابعة.. لم يتبقَ لي الكثير من الوقت كل ما أستطيع أن أفعله هو أن أبدّل ملابسي وأتوجه إلى تلك المقابلة المفاجئة..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

حاولت أن أستعيد بعضًا من نشاطي بعد حمام دافئ في المغطس المذهب وكمية مهولة من التبغ مختلطة بمذاق القهوة المحوج.. ارتديت ملابسي في سرعة مصطحبًا معي تصريح الدخول والخطاب الغريب.

في الطريق لم أنتبه لأي شيء يدور حولي، كل ما يشغل بالي هو هذا اللقاء الغريب!! المعبد يخيّم عليه شبح الصمت.. قاتم بعد أن غادر العمال المكلفون بترميمه.. باب المعبد نصف مفتوح يظهر من خلاله ضوء شموع تراقص وتلقي بظلالها على الجدار المواجه للباب.. حاولت أن أجمع شتات نفسي وأمسك رباطة جأشي قبل أن تحملني قدماي للدلوف عبر الباب..

المعبد كما هو لا تبدو عليه أي آثار تدل على الترميم سوى تلك العبوات المرصوصة يمينًا ويسارًا، ولا يبدو عليها الاستعمال والسقالات المرفوعة أعمدتها عبثًا!! تيقنت في هذه اللحظة أن قرار ترميم المعبد ليس سوى أحجية جديدة..

الحرارة داخل المعبد مرتفعة بشدة، زادت سخونة الهواء تلك الشموع المضيئة ولا يقطع صمته سوى صوت خطواتي تقطع باحته.. أخذت أبحث في أرجاء المكان عن أي شيء قد يدلني إلى من أبحث عنه.. لا شيء.

فجأة.. قطع السكون صرخة كادت أن تهتز لها أرجاء المكان ونجحت في أن تهز كياني صرت كالمجنون أحاول أن أبحث عن مصدر الصوت.أخذت أنظر يمينًا ويسارًا، هرولت في كل أرجاء المكان وصرخ صوتي:

- أنت فين ؟!!!! عايز مني إيه!!

لم أستطع أن أتمالك أعصابي وأسرعت يدي لإحدى الشموع المضاءة، أتجول بها في المكان وأحتمي بها في حال هاجمني ذلك المجهول..

pÅ~ăäEÇ=Aó=`~ãpA~ăäEê

صدر بالمكان ضحكة ردًا على سؤالي.. انطفأت الشموع لم يتبقَ منها سوى تلك الشمعة في يدي المرتعشة.

- لا تخف.. تلك الشمعة التي لا تحميك لن تجعلك تهرب من مصيرك.

انطفأت الشمعة.. !! وأصبح المكان أكثر ظلمة وحرارة لا أستطيع أن أسحب أنفاسي بداخله.. حاولت أن أتحسس طريقًا للهروب قبل أن أسمع صوت انغلاق الباب بقوة.. تبعه ذلك الصوت الجهوري.

- إلى أين ؟!! لن تذهب إلى مكان حتى أسمح لك بذلك..

قال كلماته وأضيئت الشمعة في يدي مرة أخرى.. حاولت بكل قوتي أن أفتح الباب حتى كاد مقبضه أن ينخلع في يدي..

- مازال بيننا حديث.. يجب أن ينتهي.

- أنت مين وعايز مني إيه؟

- أنت تعلم من أكون.. أما عن ماذا أريد منك؟!!.. فلا أريد منك شيئًا سوى أن أعطيك الحقيقة التي تبحث عنها..

- اللي هي إيه؟!!

-حقيقة خاتمك الذهبي عند صديقك القديم.. حقيقة روايتك التافهة التي تكتب نفسها.. حقيقة البحث عن مقتل والدك.. حقيقة البحث عني!! كل ذلك بأمري.

-أنت عايز إيه؟!!

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- خاتمك الذهبي سوف تجده في إصبع قاتل والدك.. أما عن روايتك التافهة فستجدها قد انتهت بمجرد عودتك إلى منزلك، ستجدها بين نابي الافعي المسلسلة سريرك.. أما بحثك عني فلن ينتهي !!

قال جملته الأخيرة وأنا أشعر أن صوته قريب من أذني يكاد أن يقبض عليها بأسنانه.. لم أستطع التحرك ولا حتى أن أنقضّ عليه وكأني غرست في الأرضية الرخامية وغصت فيها فكبلت قدماي ويداي..

-أبحث في إمبراطورية الشمس..

كانت تلك الكلمات التي أنهى بها (حامن دو) كلامه تبعهها وخز في أسفل ظهري جلعني أسقط على الأرض ولا أدري بأي شيء دار من حولي..

استفقت من إغمائي لأجد نفسي مستلقيًا على سريري وأكاد أن أقسم أني رأيت إحدى تلك الأفاعي وهي تلتف حول أعمدة السرير تحمل بين نابها كتابًا يبدو عليه القدم واصفرت أوراقه.. التقطت الكتاب وأنا اجاهد لكي أرفع جسدي من على السرير.. بدأت أتأمل في صفحاته الصفراء وعليها كتابات عبرية !! الكتاب كُتِبَ بالحبر الأسود حتى تشبعت أوراقه لا مجال للشك أن ذلك الكتاب قد كُتِبَ منذ فترة طويلة .

ماذا أراد (حامن دو) بإرسال ذلك الكتاب؟!! ... علي الاتصال بسامية لتترجم لي ما تحتويه صفحاته..

-ألو.. سامية ازيك؟

- ازيك يا يوسف ..خير في إيه الساعه 3 الصبح !!! حصل حاجة؟

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- لا أبدًا بس لاقيت كتاب قديم في المخزن عندي حسيت إنه ممكن يبقه مفيد.

- الكتاب في إيه طيب؟

- ما أنا معرفش مكتوب بالعبري فكنت عايزك تترجمهولي.

- دلوقتي يا يوسف !!!

-معلش مش هقدر أستحمل لبكرة.. أنا هعدي عليكي دلوقتي أديهولك وأمشي.

- هقولك إيه يا يوسف.. ماشي.. هستناك.

توجهت بسرعة إلى منزل سامية محتضنًا الكتاب في صدري متلفتًا يمينًا ويسارًا وللخلف والأمام وتحت قدمي، كل الاتجاهات المتاح النظر إليها.. شعرت أن هناك أحدًا يتتبع خطواتي.. انتظرت سامية أمام بوابة المنزل حتى ظهرت بذلك الوجه الذي اشتقت إليه.. وددت حينها لو احتضنها وأطبع على خدها قبلة لعلها تقتل الشوق بداخلي..

- يوسف.. وحشتني أوي..

- وانتي كمان يا سامية..

- لا ماهو واضح حتى بقالك يومين مشوفتكش.

- معلش استحميلي اليومين دول يا حبيبتي.

كان وقع كلمة (حبيبتي) على سامية كوقع السهم.. صمتت للحظات ابتسمت فيها شفتاها الصغيرتان وتحدثت فيها عيناها،كانت تبعث لعينيَّ

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

رسائل من عالم آخر.. كنت أعلم أن (كيوبيد) قد عاد إلى اليوم ليعاود الإلقاء بسهامه نحو قلبي.. ارتسمت الجدية على وجهي وأكملت حديثي:

- أنا آسف أن جيت في وقت متأخر.. بس مكنتش هعرف أنام.

- لا متقولش كده يا يوسف.. أنا دايمًا موجودة عشانك.

- الكتاب أهو.. يا ريت لو عرفتي أي حاجة تكلميني في أي وقت.

- حاضر.. أنا هبدأ فيها دلوقتي أعمل إيه بقى أمري لله.

مرة أخرى دلعها المعهود الذي أضعف أمامه.. ابتسمت لها دون أن تعقب وتبعتها نظراتي حتى ركبت المصعد متوجهًا إلى شقتها بالدور الثالث..

الوقت مناسب جدًّا لزيارة سريعةJazz Up Bar بوسط البلد.. لم أكن معتادًا على شُرب الخمور، ولكني أردت في هذه اللحظة أن أطفئ نار الفضول بكأس أو كأسين من شراب البراندي الفاخر..

كان معظم رواد البار قد انصرفوا.. اتخذت مقعدي على البار مستسلمًا لمذاق البراندي مصحوبًا بدخان السجائر محوطًا بغناء كلاسيكي هادئ، تتمايل بسببه رؤوس الثمالى من حولي..

كل تلك الأسرار من حولي مختلطة برائحة البراندي القوي جعلتني أسترجع ذكرياتي من أول بدئي في الكتابة عن نوح.. انتهاءً بمقابلتي لسامية وحينها تذكرت كذبتي لتفسير سبب وجود الكتاب عندي.. لِم لا أبحث في قبو منزلي؟؟!! لم تطأه قدماي منذ أن توفى والدي.. مكان أثري قد يحتوي أسرارًا أخرى أو معارف حتى وإن كانت لا تهمني كثيرًا في قضيتي مع (حامن

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

دو) أو حتى نوح.. يبدو أني تأثرت بكل تلك الأجواء وأحببت كوني باحثًا عن الألغاز.. توجهت إلى المنزل ولم أصل لحد الثمالة ومنه إلى قبو المنزل ..

باب القبو تراكمت عليه الأتربة حتى أخفت النقوش من تحته.. دفعت الباب بقوة متغلبًا على التراب المتساقط عليَّ.. وعلا صريره المزعج.. مددت يدي إلى زر الإضاءة.. شعرت بنفس الشعور الذي غادرني منذ سنوات رجعت إلى تلك الأيام التي لهوت فيها بداخل هذا القبو وسط مداعبة والدي لي وهو ينصحني بالتوقف عن العبث بأشيائه..

القبو كما هو لم يتغير فيه شيء.. تلك الأرفف الخشبية التي غطاها التراب واتخذتها العناكب بيوتًا لها ونسجت خيوطها عليها.. اعتاد أبي على أن يحتفظ بكتبه الهامة بداخل صندوق قديم حرَّم عليَّ العبث به شعرت بظفر الانتصار وأنا أتوجه إليه لأحمله خارج القبو، شعور رائع عندما تحصل على واحد من تلك المحرمات عليك..

اسقريت على الأريكة في بهو المنزل واستقر الصندوق بجواري..من الصعب عليَّ ألا أحترم كلام والدي وألا أهتم بحرمانية صندوقه الخشبي.. لكني وجدت آلاف التبريرات لنفسي تدفعني لفتح الصندوق..

على وجهة الصندوق وجدت ورقة ملفوفة بعناية حزمت بشريط أحمر اللون تشبه تلك اللفافات التي تقدم في حفلات التكريم.. كانت الورقة عبارة عن خطاب من والدي.. رأيت خطه المنمق ودمعت عيناي حين بدأت في القراءة..

((ولدي العزيز يوسف.. عند قراءتك لذلك الخطاب تكون قد انتهت حياتي.. وتكون أنت اخترقت حرمة الصندوق الذي منعتك دومًا عنه،ولكني كنت على علم بأن فضولك سوف يدفعك يومًا لفتحه..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

ابني العزيز.. مهما كنت تواجه من مشكلات في الحياة أو كنت تشعر أن الحياة قد ألقت بألغازها أمام عينيك تناديك أن تكشفها.. فاعلم أني واجهت كل الصعاب لكي أبقى بجوارك في تلك اللحظات..

أرجوك أن تغفر لي إن اخطأت في حقك ولو مرة واحدة.. إني علمت أن الطريق إلى النهاية قد اقترب وأنه لم يتبقَّ لي في الحياة الكثير.. عزيزي يوسف اغفر لي ما تعرفه عني وما لا تعرفه عني.. اغفري لي خبلي وقلة عقلي.. اعلم أني قد ضحيت بعمري من أجل بقائك أنت على قيدالحياة..

ولدي.. كانت المعادلة صعبة أن أحافظ عليك وأن أحافظ على حياتي وقد اخترت بقاءك أنت على أن أجذبك إلى حافة الهوان..

لك مني كل التحية.. واغفر لي فأنا اليوم بين يدي ملك رحيم غفور))

أنهيت خطاب والدي ولم أستطع أن أتمالك نفسي وانهمرت في البكاء.. كان صوته يتردد فيأذني كلما قرأت سطرًا من خطابه.. أنا أغفر له كل شيء أعلمه وكل شيء لا أعلمه..

تساقطت دموعي تحمل في كل دمعة ذكرى كانت تجمعنا سويًّا.. صوته عاد يناديني كما كان يناديني قبل سنوات..

حاولت أن أهدأ وأن أبدأ في البحث في هذا الصندوق.. مجموعة من الكتب القديمة تتحدث عن الفلك وعن حركة الشمس والقمر وأخرى عن الكواكب وطبيعتها.. كتب عن الأبراج الفلكية وأخرى عن علاقة الذهب بالفضة ومقادير حساب الأوزان.. مجموعة علمية رائعة اندهشت حين عملت أن والدي كان من المهتمين بكل تلك العلوم.. حتى استوقفني كتاب

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

أكثر منهم قدمًا حتى تمزقت جلدته الخارجية وبالكاد استطعت أن أقرأ اسمه ..!!

((مجموع العلوم.. في السحر الممنوع)) لم يذكر له مؤلف ولا مترجم كما هي العادة في معظم الكتب.. حتى الكتاب انسالت أحباره وملأت صفحاته صور لحيوانات مذبوحة بطريقة وحشية، وبين طياته وجدت مفتاحًا صغيرًا مصنوعًا من النحاس.. وماهي إلا صفحات قليلة ووجدت ريشة تلوثت ثناياها بالدماء..!!!

أفرغت كل محتويات الصندوق بجانبي ولم يلفت انتباهي شيء سوى ذلك الكتاب.. أخذت أقلب الصندوق رأسًا على عقب أحاول أن أنبش كل أجزائه ولاحظت الفرق بين ارتفاعه الداخلي عن ارتفاعه الخارجي.. كان الصندوق يحوي جرَّارًا داخليًا في باطنه،بدا ذلك واضحًا حين رأيت ثقبًا لمفتاح صغير يبدو أن مفتاحه هو ذلك المفتاح النحاسي.. مددت يدي قابضًا على المفتاح.. المفتاح يعود له !!! أزحت دلفته الجرار ليكشف في باطنه عن قماشه سوداء تبدو عليها الفخامة..

بسطتها أمامي.. لم تكن قماشة سوداء!!!.. كانت إحدى تلك العباءات التي رأيتها دومًافي أحلامي وتشبه إلى حدٍ كبير العباءة التي اشتريتها مؤخرًا.. هي بنفس نقوشها وزخارفها الغريبة.

ما سبب امتلاك أبي لتلك العباءة؟!!هل كان باحثًا أيضًا عنهم؟ أم كان عضوًا في تلك الجماعة؟!!

كيف؟؟ ولم ؟!! ما هذا الكتاب في باطن صندوقه؟!!وما تفسير الدماء على الريشة وكل تلك الكوابيس.

pÅ~ååEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

و(حامن دو) وسر مقتل أبي؟؟ أيعقل أن يكون والدي عضوًا في ذلك؟ وما سر خطاب الغفران.. غرقت في بحر من الدوامات التي لا نهاية لها، وددت أن تسحبني إلى باطن أعماقها لتغرقني وتزهق حياتي هربًا من كل تلك الأمور..

لم أستطع أن أتمالك نفسي ولا أن أغمض عينيّ الحمراوين اللتين لم تذقا طعم النوم منذ يومين.. في ذلك الوقت كانت الشمس قد أكملت على عينيَّ عذابهما بأشعتها المحرقة.. مازال الوقت باكرًا على القيام بأي عملٍ يكشف لي أحد تلك الأسرار؛ فقد كنت نويت أن أقوم بزيارة إلى أحد معامل البلد لعمل تحليل لتلك الدماء على الريشة.. عليَّ الآن أن أختلق رواية أخرى تفسر سبب وجود الدماء إلى الريشة؛ فهو سؤال بديهي من أي معمل.. حاولت ادعاء الاسترخاء والهدوء وأنا متوجه نحو المغطس الأثري لعلي ألقي بعض تلك الألغاز في مياهه.. وسط السكون من حولي ونعومة الماء على جسدي وخليط الروائح من التبغ والياسمين جعلني أستسلم لنداء الكون في النوم..

عندما استيقظت كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحًا، وقد تسللت الشمس إلى أرجاء الحمَّام رافعة درجة حرارته بصورة كفيلة بجعلي أتصبب عرقًا حتى وأنا في المغطس..

ارتديت ملابسي انتويت الذهاب إلى أحد معامل التحاليل بمدينة نصر.. أعرف شخصًا هناك يمكنه أن يساعدني في إيجاد ضالتي دون تدقيق أو عمل تحقيق حول أصل الريشة..

وصلت إلى المعمل باحثًا عن الدكتور/ محمد إبراهيم.. أحد أطباء التحاليل التي تربطني بهم علاقة صداقة.

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

أخبرني موظف الاستقبال عن وجوده بمكتبه وسمح لي بالدخول إليه.

-أستاذ يوسف سيد المصري.. صديقي العزيز اللي مبيسألش أبدًا.

- ازاي يا دكتور.. ما أنا جايلك أهو.

- يعني عايز تقولي إنك جاي عشان تشوفني بس !!

- بصراحة أبقى كداب أوي لو قلت آه.

أجبته ضاحكًا.. تغير كثيرًا أصبح كثير الكلام كما يبدو.. كما أن الزمن لعب دوره في تحول ملامحه البريئة إلى الجامدة..

-أؤمرني يا يوسف أنا تحت أمرك.. هو أنت عشرة يوم ولا اتنين.

- ده العشم برضو يا محمد.. بصراحة أنا جايلك في حاجة غريبة وأرجوك بلاش أسئلة كتير فيها.

- خير يا يوسف.

- أنا عايز أعمل تحليل دم لعينة..

- طيب إيه المشكلة ؟!! ما دي حاجه عادية

أخرجت الريشة من جيبي وأظهرتها أمام (محمد) لم يكن بوسعه إخفاء دهشته فلم يسبق أن وفد أحد حاملًا العينة على ريشة ؟!!

- إيه ده يا يوسف؟

- مش اتفقنا من غير أسئلة؟!!

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

-أيوة ..بس !!

- بس إيه ؟! أنا محتاج مساعدتك يا محمد.. أرجوك.

- طيب إيه المطلوب؟

- أنا عايز أعرف الدم ده دم إيه أو مين.

- يعني إيه ؟؟

- يعني دم إنسان حيوان.. وكمان عايزك تاخد عينه من دمي وتشوف إن كان لها علاقة بيا ولا لأ.

- بص يا يوسف.. أنا مش فاهم أنت عايز تعمل إيه بالظبط.. بس اللي هقدر عليه هعمله وعشان محدش يعرف حاجة عن الموضوع ده، أنا اللي هعملك التحليل ده بنفسي.

- متشكر جدًا يا محمد مش عارف أقولك إيه.

- متقولش حاجة يا يوسف أنت أكتر من أخ .

- طيب أقدر أعرف النتيجه إمتى.

- هكلمك بكرة الصبح.

- ماشي.. هستنى تليفونك.

غادرت مكتب (محمد) وأنا أتمنى أن يأتي يوم غد..

في طريق العودة كانت كل الشوارع المؤدية إلى المعبد مزدحمة، خنقتها حرارة الشمس وملأتها أبواق السيارات المرتفعة وكأنها في عراك من أجل

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

إظهار الضيق من الطريق.. وبينما أنا أنتظر، دقَّ هاتفي معلنًا عن اتصال سامية..

-ألو.. ها وصلتي لحاجة؟

- صبرك عليا.. أنت مالك سخن أوي.. ازيك؟

- الحمد لله.. معلش أصل الموضوع ده شاغل بالي أوي.. انتي عاملة إيه؟

- أنا الحمد لله كويسة وخلصتلك أول فصل في الكتاب كمان.

- بجد ؟ طب أقدر أشوفك؟

- تقدر يا سيدي أنت فين دلوقتي؟

- أنا رايح على بن عزرا.

- تمام هقابلك هناك.

حاولت أن أتلمس العديد من الشوارع الجانبية لأحاول الوصول إلى المعبد..

نفس الكلمات والحوار المكرر من عم سيد.

- يا أستاذ يوسف المعبد بيترمم ومش هتخش ومش هاخد رشوة.

- اهدى يا عم سيد أنا جبت تصريح من الوزارة.

- حتى لو جبت تصريح.. أستاذة سامية مستنياك وهي معهاش تصريح فمش هتخش.

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

- صل على النبي بس يا عم سيد أنت بتعاملنا كأننا أغراب والتصريح أهو يا راجل.

- أنا آسف يا استاذ يوسف.. أنت مترضاليش الضرر.

تركت عم سيد وتوجهت إلى سامية وأخبرتها بالموقف.. تقبلته تمامًا وتحول المصير إلى كافيه (بورتو) بمصر الجديدة..

الإرهاق يبدو على (سامية) يبدو أن الليلة كانت مرهقة عليها..

- شكلك منمتيش !

- وأنام ازاي وانت عايز تعرف اللي مكتوب.. أعمل إيه بقى.

- أنا مش عارف أشكرك ازاي بجد.

- متشكرنيش ولا حاجة.

- ها في جديد؟

-أبدًا..

شيءٌ ما دفعني أن أخفي حقيقة الصندوق الموجود في قبو والدي.

وصلنا إلى (بورتو) وكالعادة اختارت سامية الطاولة المحورية لتمارس هوايتها في الاقتناص.

- هتفضل ساكت كتير يا يوسف؟!

- لا أبدًا.. مفيش حاجة.

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

pÅ~ååÉÇ=Äó=`~ãpÅ~ååÉê

. طب خد اقرأ اللي وصلتله.

بسرعة تصفحت تلك الصفحات حتى شدني مقطع..

((بعد أن وصل نوح إلى المحفل لم يكن يكترث بتلك الضوضاء الصادرة منه، فقد اعتادها بعد مرور شهرين من انضمامه للمحفل.. برزانة شديدة ارتدى وشاحة الأسود فوق ملابسه وعلَّق قلادته ذات الصليب المعقوف المصنوع من الذهب الخالص.. تقدَّم إلى صرح المعبد بخطوات ثابتة قبل أن ينحني إجلالًا لكبير المحفل الجالس على كرسيه المرتفع وزينت قمتة رأس الأفعى الموشومة على يده أيضًا.. تلك اليد التي تقبض على صولجانه الذهبي.. كان رجلًا مهيبًا حقًّا.. وقف حسام في آخر الصفين الممتدين يمين ويسار كبير المحفل وبدأ يشاركهم ترانيمهم الخاصة))

تلك الكلمات من الرواية التي أؤلفها.. الرواية لم تخرج من حاسوبي ولم يطلع عليها أحد !!!

لاحظت سامية التغيُّر البادي على وجهي..

- في إيه يا يوسف؟

- مفيش.. بس الكلام ده نفس الكلام اللي في الرواية اللي بكتبها.. سامية أنا لازم أمشي.. يلا بينا.

استلسمت سامية لفكرة المغادرة بعد أن تجمدت الكلمات على شفتها.. لاتعرف ماذا تقول فقط اتسعت حدقتا عينها..

أوصَلت سامية إلى منزلها دون أن أنطق بكلمة وكذلك فعلت هي..

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~äåEê

عدت مرة أخرى إلى المعبد قبل أن يقابلني عم سيد بنفس الوجه البارد ولم يعترض تلك المرة على دخولي المعبد .

بدأت جولة البحث مجددًا داخل المعبد.. وأيضًا لم تبدُ عليه علامات الترميم،كل شيء عادي،خالي حتى من العمال.. فقط السكون هو الخط الفاصل بين الصباح والمساء .

مرت الدقائق وكأنها أعوام،أحاول فيها إيجاد شيء يلفت الريبة حتى الباب الخشبي لم يكن غريبًا تلك المرة حتى بدأت تشع منه ومضات ضوء يفصلها صوت ضعيف كدت أن أسمعه وسط السكوت.. حاولت أن أدقق السمع لتصل مسامعي إلى دقات قرع طبول تصدر منه..

كل خطوة كنت أخطوها تجاه ذلك الباب كان قلبي يقابلها بدقات لا أستطيع أن أحصيها ..

شهيق عميق كان قادرًا أن يجعل شجاعتي ترافقني لأزيح الباب الخشبي ويظهر معالم سردابه المضيء كان منحدرًا بشدة إلى الأسفل مضاءً في آخره

في تلك اللحظة لم أكن أعلم أني على أعتاب اكتشاف حل أكبر ألغاز حياتي..

وبدا الانزلاق في السرداب.. أرضيته باردة شعرت أن أنفاسي أبت أن ترافق جسدي في تلك الرحلة.

كلما اقتربت نحو فتحة الخروج ازدادت اضطرابات قلبي وارتفع صوت الطبول.. لا أنكر أن في رحلتي التي لم تستغرق سوى ثوانٍ معدودات تمنيت أن أعود أدراجي تاركًا كل هذا !!!

pÂ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

السقوط من الفتحة كان أسرع مما تخيلت.. فاجأني وسقطت سقطة من هولها لم أستطع أن أشعر بعظامي في مكانها.. أرضية المكان رملية ساعدت على امتصاص صدمة الارتطام.. رفعت رأسي المتهتك وبدأت أدور بعيني في أرجاء المكان..

الأرض رملية اختلطت بها رائحة عفنة وانتشرت بها بقع المياه.. السقف أيضًا لم يكن على أفضل حال. كان صخريًا وكأنني في وسط أحد تلك الكهوف المعتاد على رؤيتها في national geographic

في الأعلى تستقر الفوهة التي سقط منها.. تجاورها أعشاش لم أستطع تمييز ساكنيها.

صوت قرع الطبول يملأ المكان. وكأن الجدران قد تحدثت فأخرجت من ثناياها صوته.. المكان مضاء بلمبات توزعت في شكل عشوائي على الجدارن الدائرية.. أقصى اليمين كان الوضع مختلفًا.. زين جداره برسومات ذهبية على شكل أفاعٍ توسطها باب مرتفع بدا عليه الطابع الكلاسيكي في الديكور.. زخرف بالأصداف وبتكوينات هندسية أضافت له هيبة تمس القلوب.. أما أعلاه فقد استقر قرص الشمس الذهبي وأحيطت به مجموعة من كواكب المجموعة الشمسية مثبتة على أعواد جديدة تدور وكأنها تحاكي حركتها الطبيعية في الكون.. ليس هناك أي طريق للرجوع. إما الدلوف عبر الباب أو أن أظل عالقًا في ذلك الوحل .

قرع الطبول كان في ازدياد كلما اقتربت من الباب.. ماذا يمكن أن يحدث أكثر من ذلك؟ هل هي النهاية؟ لعل الموت يكون هو المنجي من كل تلك التفاهات التي أعيشها لا شيء يمكن أن أخسره..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

حاولت أن أرسم شكل العبوس على وجهي وأنا أدفع الباب الخشبي ويرتفع صوت صريره ليتوقف قرع الطبول..

لا يوجد أحد؟!! البهو خالٍ تمامًا ولا يختلف مظهره عن بهو المعبد العلوي.. نفس الشكل لا يفرقه سوى طريقة إضاءته بالشموع وتلك المراجل التي انتشرت في أرجاء المكان ورائحة البخور التي تعتلي الهواء الثقيل.

- كنت أنتظر وصولك.

صرعني ذلك الصوت الصادر من يسار البهو لم أكن أراه عند دخولي !!

كان المتحدث جالسًا على مكتب خشبي يحمل بين أصابعه ريشة وبدا منهمكًا في الكتابة حتى إنه لم ينظر إليَّ!

علي أي حال حتى وأنا أنظر إليه لم أكن أرى وجهه؛ فقد اتشح بالسواد من أعلى رأسه إلى أسفل قدمه بتلك العباءة المنقوشة نفسها..

- أنت مين؟

- مش صعب تعرف أنا مين.

- حامن دو؟

- لا.. أنا كل كلمة أنت كتبتها.. أنا نوح..

كلماته كانت صاعقة ضربت كل خلايا جسدي جعلتني أتوقف في نصف الطريق إليه !

- نوح مين؟

pA~äåEÇ=Aó=`~ãpA~äåEë

. اللي أنت بتكتب قصته.. متستغربش كل حاجة أنت كتبتها أنت متملها،أكبر دليل معاك دلوقتي في شنطتك.. الكتاب اللي وصلك يا يوسف، اللي حامن دو بعتهولك هو قصه حياتي.. حتى أنت متعرفش نهاية نوح كانت إيه.. بس أنا عارف.. قرَّب يا يوسف متخافش.. تقدر تقول إن بينا سابق معرفة كويسة..

اقتربت من (نوح) وأنا أخفي ارتعاش قدميّ تحت بنطالي..

- أنت عايز إيه؟

- أنت اللي عايز مش أنا.. قريت آخر القصة كانت إيه؟

- لا..

- أنا (نوح بن شيما) السابع عشر.. كبير المحفل الخامس بعد المائة..

قالها نوح وهو يرفع نظره إليَّمع كثير من الفخر والعظمة.. تمكنت تلك المرة من أن أميّز ملامح وجهه.. كما تخيلته في الرواية.. تعتلي عينيه نظراته الهلالية فوق أنفه الطويل، جاد الملامح شاحب الوجه.

- عايز مني إيه؟

- قولتلك أنت اللي عايز.. ردة فعل كإنك تقابل بطل روايتك على الواقع ثابتة متوقعتش إنك تكون بالهدوء ده.. (حامن دو) زارك؟

-أه.. جالي أكتر من مرة.

- كنت متاكد من إنه هيزورك.

- ليه؟

pÅ~ååÉÇ=Äó=`~ãpÅ~ååÉê

- اللي هقولهولك دلوقتي ممكن يغيّر عمرك كله.. مستعد إنك تواجه كل الحقايق اللي فضلت تدور عليها ؟!!

- إيه اللي يخليني أصدقك؟

- الدليل اللي في إيدك.. الكتاب اللي معاك.. عباية ابوك اللي أنت شوفتها النهارده.

كانت كلماته مقنعة تجعلني أوافق على أن أفتح عقلي لاستيعاب كلماته ليس ثقة فيه، ولكنه الأمل الوحيد لكشف تلك تلك الألغاز..

- كمل..

- تعرف إيه عن حامن دو؟

- أعرف إنه اتقتل على إيد واحد تاني اسمه ألبرت فليمنج ومحدش يعرف مات ازاي.

كانت إجابة نوح ضحكة عالية صحبها بخروجه من خلف مكتبه متوجهًا إليّقبل أن يدلي بسؤاله..

- وأنت صدقت الكلام ده ؟

- ده اللي قريته في الكتب.

- مش كل اللي بيتقال في الكتب صح يا يوسف..

-تقصد إيه؟

pÅ~åaEÇ=Aó=`~âpA~åÄEë

- حامن دو مات فعلًا.. بس متقتلش.. روحه لسه حية.. ومفيش حاجة اسمها ألبرت فليمنج قتله.. ألبرت كان الخادم المخلص ليه..

-أومال اتكتب كده ليه؟

- مش لسه قايلك متصدقش الكتب كلها.. حامن دو هيرجع عند اصطفاف الأكوان..

- مش فاهم قصدك ..

- اصطفاف الأكوان هو الوقت اللي بيتغير فيه قادة المحفل.. الحرب على وشك البداية.. حامن دو هيرجع وهيطالب بمنصبه القديم.. كبير المحفل.. أسطورة الرعب اللي اتخلقت منه هتساعده كتير في حاجة زي كده..

- وأنا إيه علاقتي بكل ده؟

- أنت الكارت الرابح يا يوسف..

- ازاي؟

- يوسف سيد المصري.. العضو الأربعين في المحفل..

- إيه !!

- متستغربش أوي.. أبوك كان عضو في المحفل لأكتر من تلاتين سنة، الفترة الأولى لاصطفاف الأكوان في المحفل، رجوع حامن دو وقتها كان يتطلب موافقة جميع أعضاء المحفل.. أبوك اللي وقف ضده كان عارف كويس أوي اللي ممكن يعمله حامن دو.. طول عمره كان متمرد..

- كذب..

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

حاولت أن أبعد عن تفكيري كل ما يشكك في نزاهة والدي.. لا يمكن أن يكون عضوًا في تلك الجماعة على الرغم من وجود العباءة وخطابه الغريب إلا أني رفضت كل المحاولات لتصديق ذلك..

- متتسرعش.. أبوك كان رافض سياسات المحفل، وكان رافض فكرة سيطرة السحر على المعبد مرة تانية بعد موت حامن دو.. قوانين المعبد تنص على أن: كل عضو يختار له خليفة في المحفل قبل وفاته وإن لم يتم ذلك أحل محله أكبر أبنائه من الذكور.. وده اللي حصل معاك يا يوسف.. أبوك قبل مايتقتل مختارش خليفه ليه وبالتالي فأنت الوريث الشرعي لمكانه في المعبد..

- كلام فاضي.. كل اللي أنت بتقوله كلام فاضي.

- تفسر بإيه وجود عباية المحفل في صندوق أبوك الشخصي؟

لم أستطع الرد.. فقط التزمت الصمت قبل أن يكمل نوح كلماته.

- متحاولش تعند يا يوسف.. ده قدرك.

- أنا رافض إني أكون عضو في المنظمة.

- مش بمزاجك.. وإلا مصيرك هيكون القتل زي أبوك..

قالها نوح بحدة..

- أنت بتقولي الكلام ده ليه؟

- حامن دو عايز يستولى على المحفل هيرجعه للسحر الأسود تاني.. أعضاء المحفل مش هيقدروا يقفوا قدامه.

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

- وأنت عايزني أقف قدامه..

-أبوك مكنش هيقول كده.. أبوك اللي قتله أعز صديق ليه (هشام منصور)!

هشام دلوقتي هو خادم (حامن دو).. تفتكر ده كفاية عشان تقف قدامه؟

وكأن النيران قد اتضرمت في رأسي.. مشاعر الكره تجاه قاتل والدي ومشاعر الحنق من إخفاء والدي حقيقته وتورطي في الأمر كله.. أكمل نوح كلماته إليَّ:

- هشام منصور في لندن.. غيَّر اسمه وبقه ((كمال البهنساوي)) تاجر التحف والملياردير المعروف هو اللي اشترى الخاتم اللي كان عند صاحبك..

- الخاتم ده بتاع مين؟

- مهمكش حكايته أوي..

- أنت بتقولي الكلام ده ليه؟

- لأن مش هسمح لحامن دو أن يسيطر على المعبد..

- وإيه المطلوب مني دلوقتي ؟

- مش مطلوب منك حاجة.. بس يا ترى أنت هتسيب قاتل أبوك عايش؟..

المقابلة انتهت..

أنهى (نوح) كلماته وأشار لي بالانصراف قبل أن أجد نفسي واقفًا على الهو العلوي لمعبد عزرا،مكان الباب الخشبي خلفي قد اختفى..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

أسرعت خارجًا من المعبد غير مهتم بنظرات عم سيد..

شعرت في تلك اللحظة وكأن شعاعًا من الضوء قد تخلل إلى أرجاء عقلي فأناره.. كانت كلمات نوح.

أرهقت ذهني ولكنها أزاحت عنه كل ذلك التخبط الفكري المصدع أركاني من الداخل.

رحلتي التالية سوف تكون إلى مدينة الضباب (لندن).. محاولًا أن أصل لسر (كمال الهنساوي) أو (هشام منصور) فكلاهما شخص واحد ..

الوجه: شركة مصر للطيران..

الغرض: أول رحلة متوجهة إلى لندن..

لم أكن في حالة تسمح لي باستقبال مكالمات من أحد ومع ذلك أجبت على اتصال (سامية).

- ازيك يا يوسف.. أنا قلقانة عليك.

- ليه؟

- مكنتش طبيعي النهارده.

- لا أنا كويس متقلقيش.

- طيب أنت فين؟

- أنا رايح مصر للطيران.

- مصر للطيران !! أنت مسافر.

ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
إشترك بجروب ساحر الكتب
ليصلك كل جديد وحصرى

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

أه رايح لندن.. هحضر مؤتمر هناك كنت ناسي معاده.

- فجأة كده؟؟

- أه.. كنت ناسية

- وهتسافر إمتى؟

- أول معاد..

- ومش هشوفك قبل ماتسافر؟

- مش هلحق يا سامية لما أوصل هناك هطمنك.

- ماشي يا يوسف زي ما تحب.. خلي بالك من نفسك.

كنت أعلم أن سامية غاضبة مني ولم أكترث لذلك الأمر..

في مصر للطيران الرحلة المتوجهة إلى لندن تغادر بعد ثلاث ساعات ما يتيح الفرصة الكافية لإعداد حقيبة سفر صغيرة تكفي ليومين أو ثلاثة .

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

(7)

في طريقي إلى المنزل تلقيت اتصالًا من الدكتور محمد.. يخبرني فيه بأن الدم الموجود يعود إلى دم إنسان، وأنه يطابق عيّنة دمي التي تركتها في المعمل.. وأوضح لي محمد أن صاحب تلك العينة تربطني به قرابة من الطرف الأول..

لم يكن هناك شك أن الدم يعود إلى والدي.. حاولت أن أسترجع كل ما ذكر عن والدي وتذكرت قول صديقه حين قابلته في السيدة زينب وهو يحكي عن والدي عندما نزفت يساره غضبًا من حديثه عن هشام منصور؛ لابد أن ذلك اليوم هو نفسه الذي أقسم فيه اليمين،وأن ذلك الجرح لم يكن ظاهرًا لنا بسبب ارتدائه لساعته طيلة الوقت حتى عند نومه..

طيلة الرحلة في الطائرة كان كل ما يشغل بالي هو كيفية تقديم نفسيل (هشام منصور) أو (كمال الهنساوي).. حتى إني لم أنتبه إلى تلك المضيفة الفاتنة صاحبة القوام الممشوق والابتسامات الرقيقة المزينة بغمازتين على خديها الحمراوين.. ولم أنتبه بمعنى أني لم أكترث بالتعرف عليها !

بدأت ملامح لندن تبدو لي من بعيد.. طقسها البارد الضبابي يخيّم على مبانيها العتيقة مازالت تشعرني لندن بتلك الراحة الكلاسيكية التي أبحث عنها منذ سنوات..

ماإن هبطت الطائرة لتلامس أرض مطار هيثرو الدولي وبدأت دقات قلبي في العنفوان تزداد كلما اقتربت من كشف حقائق الأحداث التي تحاوطني..

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

كان الطقس باردًا كالعادة.. ضبابيو علي الاعتراف بأني سعيد بمثل ذلك الطقس.. الناس في لندن اعتادوا على ذلك.انطلقوا يسيّرون حياتهم دون تعطيل يرتدون أوشحهتم الزاهية فوق معاطفهم السميكة علها تقيهم من برودة الهواء المحيط..

سرت في الشوارع متأملًا المباني العتيقة التي لم تتغير منذ آخر زيارة لي للندن في بداية الألفيات.. أغلقت أزرار معطفي وحاولت أن أستمتع بسجارتي وسط كل هذا الجمال المحرومون منه نحن المصريين.

في لندن الكلاسيكية هي الحاكم. يظهر ذلك في كل شيء. في شوارعها في أعمدة الإنارة. في أزياء البشر.. ودار في عقلي كيف استطاعت تلك البلاد في يوم من الأيام أن تصبح الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس. هل كلاسيكيتهم فقط هي التي جعلتهم يغزون العالم؟!!

شعب كلاسيكي ولكنه مجنون بالفطرة..

استقليت إحدى سيارت التاكسي المتوفرة عبر خدمة تفعل بالهاتف وطلبت منه التوجه إلى الفندق الذي سبق أن زرته فندق(روز ود) أحدالفنادق الشهيرة هناك .

وضعت حقيبتي وطلب قهوة ساخنة تعوضني عن انخفاض درجة حرارة الجو.. حمام ساخن كان أيضًا كفيلًا برفع درجة حرارة جسمي قليلًا ..

أخذت أفكر في الطريق الأمثل للتعرف على (هشام منصور) دون إثارة ريبته.. تذكرت أني رأيت على مدخل الفندق إعلانًا عن إقامة مزاد علني الليلة على بعض القطع الأثرية وتصورت أن (هشام) من الممكن أن يحضر ذلك المزاد.

pÅ~åÅEÇ=Aó=`~ãpA~ăĂEê

استمر تفكيري في كيفية تقديم نفسي إليه وأنا أتناول القهوة وأحاول أن أتانق للقاء الليلة ..

كانت قاعة المزاد أثرية وحدها كافية لأن تغري أي شارٍ لاصطياد بعض من قطعها القيمة.. أدرت نظري بين وجه الحاضرين محاولًا البحث عن (هشام منصور) مسترجعًا صورته في مخيلتي قديمًا، ومحاولًا تخيُّل هيئته التي وصل إليها اليوم.. كان الشك يساورني حول ثلاثة أشخاص كلهم يميّزهم شاربهم الضخم وعيونهم الجاحظة.. حتى تأكدت من أنه (هشام) فضحه الخاتم الذي رأيته عند مايكل.. كان يرتديه في بنصره الأيمن، رأيته عندما كان مزايدًا على قطعة فرعونية معروضة في المزاد .

السبيل الوحيد للفت نظره هو المزايدة على نفس القطعة بمبلغ أكبر مما رصده هو.. حركة في منتهى التهور قد تؤدي بي محبوسًا في أحد مراكز سكوتلانديارد.. لا أعلم ما الذي دفعني إلى المبالغة وأن ينطق لساني بمائة ألف جنية استرليني. كان الرقم كفيلًا بجذب انتباه (هشام)لينظر لي قبل أن يرفع السعر إلى مائة وعشرين ألفًا.. لو توقفت لظني أن ما حدث كان مجرد إثارة للانتباه دفعني التهور مرة أخرى إلى مائة وخمسين ألفًا.. أتذكر يومها أني سجدت شكرًا لله بأن (هشام) كان من الإصرار ما يجعله يدفع في تلك القطعة مائة وسبعين ألفًا، وكنت قد أديت دوري في لفت الانتباه المراد ووضع نفسي في فئة الأثرياء.. لا أنكر أنه شعور رائع حتى وإن كان وهميًا .

انتهى المزاد.. وترجلت متوجهًا إلى الباب أنوي تتبع هشام لعلّي أجد وسيلة للتقرب منه.. قبل أن أشعر بيدٍ تدق على كتفي،أدرت رأسي لأجده (هشام منصور) بنفسه.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- شكلك مهتم بالقطع الأثرية المصرية.

-أكيد ... ومين مهتمش بيها؟!

-أنت مش بريطاني ...أنت منين؟

- دي حقيقة ... أنا من مصر...

ابتسم (هشام) قبل أن يكمل حديثه بالعربية ..

- عشان كده مهتم بقى.

حاولت اصطناع الدهشة عندما تحدَّث بالعربية العامية المصرية .

- حضرتك مصري؟!

-أه يا سيدي مصري ومن شبرا كمان، بس عايش هنا بقالي أكتر من تلاتين سنة.

- يااه فترة طويلة...

- أنا كمال البهنساوي...رجل أعمال، وزي ما أنت شوفت مهتم بالأنتيكات.

- حسام الدين بدر...مهندس معماري.

كان يتوجب عليّ أن أخفي حقيقة شخصيتي عن هشام.. كلانا كاذبان.

- تشرفنا يا أستاذ حسام...إيه رأيك نشرب فنجان شاي سوا وتحكيلي عن مصر...أنا مابصدق ألاقي حد مصري هنا...مع إنهم كتروا أوي الأيام دي هنا...أي رجل أعمال يتضايق في مصر يجي هنا.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

لم أتردد في قبول عرض هشام.. فرصة للوصول إلى أي شيء .

-يشرفني يا افندم .

اصطحبني(هشام) إلى كافيتريا الفندق تطل على الشارع، يمكنك مشاهدة أعمدة البرلمان الإنجليزي الأثرية من موقعك هذا ..

- متعود تيجي لندن كتير يا أستاذ حسام؟

- لا أبدًا.. أنا جاي زيارة سريعة وراجع تقدر تقول بغير جو.

- لندن هتعجبك جدًّا.. حضارة بمعنى الكلمة.

-أكيد.. الشعب الإنجليزي معنى واقعي للحضارة.. حضرتك شغال في إيه هنا؟

- أنا عندي شركة سياحة.. ومشارك في كذا مصنع هنا.. تقدر تقول أي حاجة فيها فلوس هتلاقيني موجود فيها .

- ومرجعتش مصر ليه؟

- مصر فاضلها كتير عقبال ماتقوم تاني يا حسام.. تسمحلي أقولك يا حسام أنت من سن ولادي.

- طبعا يا أستاذ كمال زيم اتحب.

الابتسامة لم تغادر فمي وأنا أخاطب هشام، شعرت في تلك اللحظة وكأني أمتلك خبث الأفاعي.. شعور رائع .

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

-إيه بقى اللي مخليك تهتم بالقطع الفرعونية؟ وتيجي لندن عشان تشوفها؟

-أبدًا أنا نازل في الفندق وشوفت المزاد بالصدفة وقولت أخد فكرة..

-إصرارك على الحتة اللي كانت معروضة ميقولش أنت كنت بتاخد فكرة ..

ضحكت محاولًا رسم التمّكن والزهو وكأني أحاول إخفاء خبرتي في هذا المجال .

أكمل (هشام) كلامه.

- بس أنت سهل جدًا تجيب الحاجات دي من مصر.

- الموضوع بقى صعب الأيام دي شوية.

- شايف الخاتم ده يا حسام.. أنا لسه جايبه من مصر يبقى أنت اللي عايش هناك مش هتعرف تجيب الحاجات دي ..

أخذت أتأمل الخاتم وكأني أول مرة أراه .

- بس الخاتم ده شكله غريب شوية..

- فعلًا وعشان كده أنا اشتريته.. عارف يا حسام الشكل ده صعب إن أنت تلاقيه مع أي حد تقدر تقول أنا شخص بحب التميز واللي يبقى عندي ميبقاش له حتة تانية.

- حضرتك متجوز يا أستاذ كمال؟

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- كنت ...مراتي اتوفت من عشر سنين ... بس عندي بنت هي كل حياتي مع إنها مش عايشة معايا.

-أومال؟

- عايشة في مصر... خرّيجة ألسن.. وقررت أن تكمل حياتها هناك .

- ربنا يخليهالك ..

- متشكر.. أنت قاعد في لندن قدّ إيه ؟

- أنا لسه واصل النهارده.. هقعد يومين تلاتة.

- خلاص هستناك النهارده على العشا.. لازم نعمل معاك واجب المصريين .

- يشرفني يا افندم أتعشى مع حضرتك.

أخرج من جيبه كارته الشخصي وقدَّمه إليَّ.. ورحل بابتسامة هادئة..

الوقت يسمح لي بالقيام بجولة في المدينة، المدينة التي طالما عشقت رائحة المطر فيها وشعور القِدَم المختلط ببرودة جوها ..

بعد جولة سريعة استرجعت فيها ذكريات آخر زيارة إلى لندن وتذكرت (ميج) تلك الفتاة الإنجليزية التي أبهرتني بحبها للحياة وخصرها المرسوم ووجنتها الحمراوين وأنفها الصغير الذي تعتليه نظارتها المستطيلة.. كم رغبت أن أنهي حياتي معها مبتعدًا عن مصر وفتياتها بعد أن صدمتني (سمر).. ولكن بنات حواء كلهن سواء لا شك أن (ميج) أيضًا قد تعرفت على أحدى محبي الحياة الكلاسيكية.. صفحة أخرى طويتها في دفتر حياتي وما أكثر طياته حتى إن حمله أصبح ثقيلًا عليَّ.

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

pÅ~ååÉÇ=Äó=`~ãpÅ~ååÉê

رجعت إلى الفندق لكي أستعد لموعد العشاء مع ((هشام)).. تأنقت لأظهر له تلك المكانة التي وضعني فيها كباحث عن الأنتيكات وكأني ممثل يؤدي دوره على أكمل وجه ..

توجهت إلى العنوان المذكور على بطاقة تعارفه ..

لم أتعجب كثيرًا عندما وجدت أنه نفس العنوان الذي أعطاني إياه (الضبع)

استقبلتي مضيفته الحسناء وأجلستني في الصالون المعد لاستقبال الزائرين حيث انتظرت قدوم (هشام) .

-أهلًا أهلًا أستاذ حسام نورت البيت ..

- منور بصحابه يا أستاذ كمال ..

- اتفضل.. ماريا عملالك النهارده أكل تاكل صوابعك وراه.. حاكم أنا اصريت إنها تتعلم الأكل المصري ..

-واثق في ذوق حضرتك من قبل ما أدوقه.

- شكلك بكاش أوي يا حسام..

أتبع كلماته بضحكة مصطنعة واصطحبني لغرفة المائدة.. حيث أُعِدَّت أصناف من الطعام تدل على حفاوته وكرمه لكن المائدة لم تكن بأهمية الحديث الذي أرتقبه منذ وصولي إلى لندن.

ومع ذلك مرت الدقائق مملة لا يقطعها سوى عبارات الترحيب من طرفه والمديح في الطعام من طرفي.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

بعد العشاء اصطحبني إلى تراسه الأثري لتناول الشاي، وفي خلال كل تلك الدقائق كان يدور في رأسي كيف أخرج منه ما أريد ..

- وإيه اللي خلّى حضرتك تسيب مصر يا أستاذ كمال ؟

- يااااه يا حسام.. رجعتني سنين طويلة لورا أوي يا ابني ..

-إيه اللي حصل؟

- اتهموني إني قتلت واحد.. باختصار هي دي الحدوتة .

- قتلت واحد؟!!

- والغريب إنهم اتهموني إني قتلت أعز أصحابي ..

- ازاي؟

- صاحبي ده اتقتل هنا في لندن.. وأنا كنت معاه كنا في سفرية هنا.. اتخنقنا مع بعض وهو سابني وبات في مكان تاني غير اللي كنا قاعدين فيه وأنا رجعت مصر من غير ما أشوفه، لما رجعت عرفت إن هو اتقتل.. وإن الشرطة المصرية بتتهمني إني قتلته مع إن الشرطة هنا قالت إنه اتقتل على إيد مجموعة من اللصوص كانوا عايزين ياخدوا اللي معاه ..

- وليه محاولتش توضح الكلام ده للبوليس؟

- حاولت كتير ولما يئست جيت هنا.. المكان اللي متعرفش إيدهم تطولني فيه ..

عارف يا حسام أنا حبيتك من أول ماشوفتك.. أنت بتفكرني بيه الله يرحمه كان معماري برضو والغريب إنه شبهك.

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- ربنا يرحمه.. ومفكرتش إنك ترجع تاني بعد العمر ده؟

- لا.. أنا حياتي كلها هنا.. ومرتاح، اللي منغص حياتي هو بعد سامية عني ..

- سامية؟؟

- بنتي اللي قولتلك عليها الصبح ..

-أيوة افتكرت.. وليه مبتجيش تعيش معاك هنا؟

-سامية طول عمرها شخصية استقلالية.. بتحب تعيش لوحدها..دلوقتي بتكمل ماجسيتير في اللغات الشرقية ..

- بتدرس إيه؟

- عبري ..مالك؟ ملامحك اتغيرت ليه؟

في تلك اللحظة تصادمت كل موجاتي الفكرية ببعضها البعض،أيمكن أن تكون سامية التي يتحدث عنها هي نفسها سامية التي أحبها؟؟ لا أذكر يومًا أني استفسرت عن اسمها بالكامل!!، كل معرفتي بها أنها فقدت والديها في حادث توفيا على أثره !.. كيف يظهر لها أب بعد كل تلك السنين؟!

- لا أبدًا.. بسمعك ..

- بتسمعني؟ أنت جاي هنا ليه؟

-أبدًا.. حبيت أغيّر جو ..

-إيه رأيك في الخاتم ده يا حسام ؟

- شيك وعجبني ..

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

في تلك اللحظات شعرت وكأن المنزل تقزم عليَّ وبدأت جدارنه تعصرني.. يرتجف جزء بداخلي كلما نظرت إلى عيني (هشام)، أشعر أنه بدأ يكتشف حقيقتي ويأخذ الحديث في اتجاه لا أرغب أن أتحدث فيه.

لم ينتشلني من بئر التفكير إلا خادمته عندما قاطعتنا تخبره بأن لديه اتصال من مصر ابنته تتصل به.. غادرني بابتسامة رقيقة وخبيثة في نفس الوقت وتوجه إلى الهاتف ..

الفرصة تأتي مرة واحدة.. اتصلت بـ(سامية) كان هاتفها مشغولًا.. ولكن لا يمكن أن أصدّق أنها ابنة ذلك الرجل.. لا يمكن لقد أحببتها ..

عاد ((هشام)) مرة أخرى بهدوء ..

-آسف اتاخرت عليك يا حسام ..

- لا أبدًا ولا يهمك ..

-قولتلي أن الخاتم عجبك ..

-أه فعلًا.. شيك جدًّا ..

- غريبة.. أومال مكنش عاجب أبوك ليه؟

في تلك اللحظات وكأني غرقت وسط المحيط الأطلنطي وتحاوطني قروش البحر من كل الاتجاهات.. ولكني استمررت في أداء دوري ..

-أبويا؟؟

-أها.. أبوك.. أعز أصدقائي يا يوسف ..

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- أنا مش فاهم حضرتك بتحكي عن مين بالظبط..

- اوعى تكون مفكر إن التمثيلية الهبلة اللي أنت عاملها دي هتخش عليا.. وإن تاخد بياناتي من الضبع.. والمزاد والخاتم وكل الكلام ده.. أنا اللي عايزك تيجي هنا.. عشان كده أنت هنا ..

لم أجد سوى الصمت للرد على كلمات (هشام) المصحوبة بنظرات الانتصار النارية ..

لا أنكر أني حاولت الهروب، ولكن لم أقطع كل تلك المسافات من أجل الهروب ..

أدركت في تلك اللحظات أن أي محاولة مني للاستمرار في تمثيلتي فهو مكشوف بالنسبة لهشام.

آخر كارت معي هو محاولة إظهار عدم خوفي منه :

- وانت عايز مني إيه؟

- عايزك متبقاش غبي زي أبوك ..

- احترم نفسك.

- متضايقش أوي كده.. أبوك كان عضو في المحفل.. وأفتكر إن أنت عرفت الكلام ده.

قال جملته تلك وهو يقدّم لي سيجارة ويشعل سيجارته.. ثم أكمل كلامه والدخان يحيط به .

أبوك مات قبل مايختار خليفة.. وعلى حسب قانون المحفل أنت الوريث لمكانه، أنت العضو الأربعين في المحفل يا يوسف ..

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

- ولو رفضت؟

- مفيش حاجة اسمها ترفض ..

- أنا مش هشارك في اللعبة دي ..

- اللي أنت مسمها لعبة دي أكبر مني ومنك.. مصيرك هيبقى مصير أبوك ..

- اللي أنت قتلته يا ابن الكلب ..

- لا.. احفظ لسانك.. أنا مقتلتوش.. أنا نفذت أمر.. عندنا متقدرش تقول للأمر لا ..

-أنت أحقر إنسان اتخلق على وجه الأرض ..

- لا لا لا.. مش قولنا احفظ لسانك.. وافتكر إن أنت ممكن مترجعش مصر أنت في بيتي .

-أنت عايز إيه؟

-أنت تبقى معانا والا تبقى ضدنا.. معاك مهلة لغاية بكره الصبح هستناك في الكافيه اللي قعدنا فيه.. المقابلة انتهت.. نسيت أقولك سامية بتسلم عليك..مع السلامة.

كلمته الأخيرة لم يكن لها رد عندي، سامية بتسلم عليك!، حاولت أن أقنع نفسي أن سامية التي أحبها ليست ابنته وبداخلي شخص يصرخ يخبرني بأنها لا تقل حقارة عن والدها .

غادرت منزله وأنا أتمنى لو أني أطبق على رقبته وأنزع روحه من جسده، ثم ألحق بها روح سامية تلك الخائنة الأخرى.

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

(8)

في الفندق لم أستطع الراحة أو النوم.. كل ما كان يشغل بالي هو كيف أنتقم لوالدي.. من هشام ومن ابنته، تلك الساقطة التي تلاعبت بمشاعري..

مرت الليلة طويلة دون أن أتخذ قرارًا، كنت أشعر في نهاية الليل بأني ضعيف يصعب عليَّ تحمُّل كل ذلك.. جلست قرب النافذة وأنا أتامل حبات الثلج وهي تتساقط.. وتضرب زجاج نافذتي قبل أن يقطع تفكيري صوت اعتدت على سماعه وكل مرة يصيبني الرعب ..

حامن دو.. زيارة ليلية أخرى .

-أنت لا تختلف عن والدك كثيرًا ..

-أنت تاني.. أنا مش خايف منك ولا منه وعندي أن أموت أحسن من إني أحط إيدي في إيد اللي قتلوا أبويا ..

قطعت ضحكات حامن دو صمت المكان حتى تهيأ لي أن الفندق كله قد استيقظ على صوتها ..

- تذكرني تلك الكلمات بكلمات والدك حين قتلته.

-أنت أضعف من إنك تعمل حاجة.. كل اللي تقدر تعمله إنك تتحكم في هشام وشوية الناس الضعاف اللي حواليك..

- سنرى !!!

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

قال كلماته واختفى كما ظهر..

في الصباح.. توجهت إلى كافيتريا الفندق،وجدت هشام قد سبقني إلى نفس الطاولة التي جلسنا عليها بالأمس.. متأنقًا كالعادة، حاولت أن أخفي علامات كرهي له ليس بالابتسام، ولكن فقط بأن احاول أن أمنع نفسي من أن تمتد يدي عليه وأسقطه صريعًا وأنهي تلك المأساة.

بمجرد أن رآني هشام حتى قفز في مكانه مرحِّبًا .

- اتفضل يا يوسف.. كنت عارف إنك هتيجي .

-إيه المطلوب مني؟!

- فكرت ؟!

-أه

-وإيه قرارك ؟

- أنا موافق إني أبقى معاكوا، بس ليا شروط !

- اتفضل .

- تمن دم ابويا .

- مش فاهم أنت قصدك إيه ؟

ظنَّ هشام أني أطالب برأسه مقابل الانضمام للمحفل، لمحت ذلك في عينيه، نفس نظرة الرعب التي طالما رافقت عيني طوال الفترة السابقة، أشعلت سيجارة وأكملت:

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê

- متخافش، مش أنت التمن اللي أنا عايزه. أنا عايز أنتقم من اللي مشغلك، صفقة هعملها معاك.

(حامن دو) ميقدرش يعمل حاجة لولا مساعدتك، بالونة أنت اللي نفختها وبإيدك تقدر تفرقعها .

هشام لم يكن يتصور أن تصاحبني شجاعة تجعلني قادرًا على التفوه بكلمات مثل تلك، بدا صامتًا يفكر في كلامي قبل أن يتكلم .

- وإيه اللي يخليك تفكر إني ممكن أوافق على كده ؟!

- ما أنا قولت كإنها صفقة وأنت راجل أعمال تقيل تقدر تفهم اللي بقوله كويس أوي، لو موفقتش أنا مش هسيبك ده أول مكسب ليك إنك تحافظ على روحك...

حاول هشام أن يقاطعني رافضًا التهديد، أشرت له بأن يصمت وأكلمت .

- ده أولًا.. ثانيًا أنت مش هتعمل حاجة.. كل اللي هتعمله أن تبعد عن الصورة وتستنى أكلمك، نوح هو اللي هيتصرف .

- نوح؟!

-أه نوح، مستغرب إني أعرفه، نوح قابلني ومن مصلحته إن (حامن دو) ميوصلش للي هو عايزه.

- يوسف، أنت مش قدّ حامن دو ولا أنا قده، ثم إن مفيش حاجة تخليني أوافق على كلامك حتى تهديدك ليا ملوش معنى مش أنت اللي هتقدر تتخلص مني .

pA~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

- تؤ تؤ تؤ ،، كده غلط أوي، خلينا حلوين زي ما كنا.. أنت عارف وأنا عارف إن حامن دو مش هيعملك حاجة وإلا كان خلص مني من زمان وأنا لا ليا خليفة ولا مخلف.

- والمطلوب إيه؟

- ولا حاجة..

-أه، ولا حاجة، أنت هتمشي من هنا وأنا هرجع على مصر، تستنى جنب تليفونك لغاية ما أكلمك.

- بس كده ؟

-أنت بتسال كتير أوي، اعمل اللي بقولك عليه لو لسه عايز تعيش، لو مش عايز حاول تلعب بديلك من ورا ضهري وأنا هخليك تسلم على المرحوم أبويا .

قلت كلمتي وانصرفت دون أن أعطي أي اهتمام لهشام، تركته بين حيرته تحاصره، تخنقه ببرود أبرد حتى من هواء لندن .

أعددت حقيبتي وتوجهت إلى المطار.. لأعود إلى القاهرة أفكر فيما سوف تلاقيه سامية منّي لن تنجو هي الأخرى من العقاب .

طوال الرحلة كل ما كان يشغل بالي أني اتخذت قرارًا أن بأتحول إلى قاتل.. نعم سأقتلها مرة انتقامًا لدم أبي وألف مرة لتلاعبها بي ..

ماإن هبطت الطائرة أرض مطار القاهرةحتى شعرت بأني مجنون هرب لتوه من مصحته العقلية،توجهت إلى المنزل، حاولت أن أستجمع بعضا من هدوئي، أعلم جيدًا أن اتصالًا سوف يتم قريبًا بين نوح وبيني .

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

الزيارة القادمةستكون لحبي الجديد.. سامية هشام منصور. بنت قاتل والدي.

لم أكن قد زرتها في منزلها من قبل، دائمًا ما كانت لقاءتنا إما في المعبد أو في مكان عام، تلك المرة لا ضير من التغيير، بدلت ملابسي وتوجهت إلى منزل سامية.

صعدت إلى أعلى.. وكل ذكرياتها معي تطاردني، تحاول أن تمنعني من التخلص منها وإزهاق حياتها..

حاولت أن أرتسم الهدوء على وجهي وأنا أطرق بابها.. فتحت لي سامية وكأنها رأت شبحًا يراودها في أحلامها ..

- يوسف؟!! أنت رجعت إمتى؟

- لسه راجع دلوقتي.. وحشتيني مقدرتش أكون بعيد عنك أكتر من كده.. ممكن اخش؟

-أه طبعًا اتفضل..

نبرات صوتها المرتعشة كانت تخبرني بأنها تعلم جيدًا بلقائي مع أبيها .

دلفت عبر الباب.. لأجد ما لم أكن أتوقعه ..

- سمر ؟؟!! انتي إيه اللي جابك هنا؟

- يوسف ؟

وكأن صاعقة من السماء قد صدمت رأسي.. ماذا تفعل سمر عند سامية؟.. وماهي العلاقة بينهما غير أن كلتيهما خائنتان.. مرت ثوانٍ كأنها

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

أعوام تحجرت فيها مقلتاي في محجريهما تحدقان فيهما.. قبل أن أكمل.. موجهًا حديثي إلى سامية:

-إيه اللي جابها عندك؟

سامية: اهدى وأنا هفهمك كل حاجة ..

-أهدى إيه.. أهدى إيييه.. البني آدمة دي بتعمل عندك إيه ؟

في تلك اللحظات همت سمر أن تغادر المكان قبل أن أجذبها من ذراعها لتعود إلى مقعدها مرة أخرى.

- رايحة فين ؟؟ مش بالسرعة دي .

سمر: يوسف أنت مش فاهم حاجة.

- ومن إمتى أنا فاهم حاجة ؟ها من إمتى؟؟ انتي بالذات تخرسي خالص مش فاهم حاجة زي ما سيبتيني من سنين وروحتي تتجوزي واحد تاني ..

ولا انتي اللي وهمتيني بإن انتي بتحبيني ودايبة فيا (موجهًا إلى سامية).

سامية: يوسف..أنا وسمر صحاب من زمان.. وكنت مخبية عليك كل الفترة دي عشان خفت أن لو عرفت ممكن تسيبني ..

- هههههههه.. صحاب من زمان.. حلوة.. زي ما كدبتي عليا طول الفترة ديإنك بنت هشام منصور مش كده؟

سامية: هشام منصور؟ أنت بتقول إيه؟

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~åpA~äåEë

- أنا عرفت كل حاجة.. الحاجة الوحيدة اللي معرفتهاش.. انتي إيه علاقتك بسمر؟

لم يكن هناك سبيل للهروب أمام سامية حاولت أن تختار أقصر الطرق. المصارحة هي الطريق الوحيد المتبقي أمامها .

سامية: أنا فعلًا بنت هشام منصور. بس والله أنا يا يوسف أنا حميت كل اللي عملته كان عشان بحبك أنت متعرفش كانوا ناويين على إيه. كانوا هيقتلوك يا يوسف لو موافقتش باللي هما عايزينه .

- لا بجد؟!.. حبتيني. زي ما مدام سمر قالتها قبلك. مش كده .

سامية: سمر ملهاش دعوة بالموضوع يا يوسف. سمر زيها زيك وزيي أنا كمان اتحطينا في ظروف أجبرتنا إننا نعمل كده. أنا حاولت أتقرب لسمر أول معرفتك كنت عايزة أعرف عنها كل حاجة. حبيتها ليه وازاي؟

- طبعًا !.. عشان تعرفي تضحكي عليا زي ماهي عملت بالظبط .

- سمر: كفاية بقى يا يوسف.. أنا سيبتك لما عرفت إن أبوك كان متورط مع الناس دي كنت عايزني ازاي أأمن على نفسي معاك؟

- سامية: أنت لازم تفهم يا يوسف إن الموضوع ده أكبر مني ومنك ومن سمر. في الأول يمكن كنت بنفّذ الأوامر لكن دلوقتي أنا مستعدة أضحي بحياتي عشانك .

- هههههههههه. بنت القاتل مستعدة تضحي بحياتها عشاني.. لا براڤو. أبهرتيني. بس برضو محدش فهمني سمر بتعمل إيه هنا؟

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

سمر: أنا شربت من نفس الكاس يا يوسف.. اللي اتجوزته طلع واحد من الناس دي وعرفت علاقته بهشام منصور، أبو سمر، وعرفت اللي بيتدبر من حواليك يا يوسف، حسام هو اللي كان هيقتلك .

- حسام ؟!

سمر: أيوة يا يوسف، (حسام الدين منصور)

- حسام؟! صاحبي ؟! هههههههههههه، دي احلوّت أوي.. بس اللي أعرفه إنك اتجوزتي راجل أعمال مش حتة مدير فرع مش قيمتك برضو يا سمورة .

سمر: ده اللي قولته عشان تبعد عني، يوسف لو أنت مكنتش عزيز عليا مكنتش جيت النهارده لسمر.

-أها، يعني انتوا الاتنين عايزين تقنعوني إن واحدة كانت مضطرة تضحك عليا والتانية خايفة عليا، لا تمام أوي، طب اسمعي انتي وهي الكلام ده لو انتوا لسه عايزين تعيشوا، أنا مبقاش عندي حاجة أخسرها ودمكوا أقل تمن ممكن أخده، بصي يا سمر انتي تروحي بيتك دلوقتي وتمسحي من دماغك خالص إن في يوم عرفتيني ومش عايز منك أكتر من كده لكن أقسم برب العزة لو شوفتك تاني لهيكون آخر وش تشوفيه هو وشي.

سمر: كفاية بقى يا أخي، أنت إيه مبتحسش.

قالتها سمر وانهارت في البكاء .

- لا مبحسش والبركة فيكوا، اتفضلي امشي، لسه في كلام كتير بيني وبين الأمورة التانية .

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

سحبت سمر حقيبة يدها وغادرت مسرعة تحاول أن تخفي دموعها وتظهر قليلًا من كبريائها المنهار.

. انتي بقى يا شاطرة، سيبك من كل الكلام الفاضي اللي انتي بتقوليه ده مبقاش بيدخل دماغي، انتي تكلمي أبوكي تقوليله إنه يجي مصر بكرة وبقابلني في بن عزرا الساعة 12 بالليل ومتنسيش تيجي معاه.

. يوسف..

. هش ولا كلمة...اللي أقول عليه يتنفذ وبالحرف الواحد ولو مجاش خليه يقرأ على وشك الجميل ده الفاتحة.

قذفت بكلماتي وتركتها قبل أن تنطق بكلمة واحدة.

pÅ~åå ÉÇ=Aó=`~ãpA~ãÉê

(9)

وصلت إلى المنزل وقبل دخولي تفحصت صندوق البريد، تلك العادة التي رافقتي منذ أن بدأت تلك الأحداث،

وجدته، نوح بزيّه الأسود ولأول مرة رأيت تقاسيم وجهه المجعَّد يجلس على يسار الغرفة .

- كنت متوقع إنك تبعت رسالة زي كل مرة.

- وأنا كنت متأكد إنك مش هتسيب حق أبوك، ناوي على إيه؟

- بكرة الساعه 12 كل ده هيخلص، أعضاء المحفل كلهم لازم يبقوا موجودين، وهشام منصور هيبقى موجود، أنا هأدّي القسم وهقسملك بالولاء، معركتك مع حامن دو متخصنيش، بس أنا ليا طلب .

-إيه هو؟

- التمن.. هشام منصور

- وبنته؟

فاجأني سؤال نوح، بالفعل لقد كرهتها، ولكن لن يصل بي الحال أن أقتلها .

- بنته ملهاش دعوة .

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

قلت كلمتي معطيًا ظهري لنوح حتى لا يرى تعبير وجهي حينها، أدرت لأكمل حديثي معه، كان قد رحل تاركًا مكانه رسالة أخرى أتى فيها:

(عباءة والدك حان وقت استخدامها..)

كانت الرسالة مرفق بها نَص القسم الذي سوف أؤديه غدًا في تمام الثانية عشر ليلًا .

ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
إشترك بجروب ساحر الكتب
ليصلك كل جديد وحصرى

pÅ~ååEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

(10)

في مساء اليوم التالي كانت الساعة قد قاربت على التاسعة. مرَّ اليوم سريعاً دون أن أشعر بساعاته، فقط هممت بالاستعداد للموعد المقترب. حفظت القسم المفترض تأديته ورددته لنفسي أكثر من مرة، كلماته قوية. أحببتها، شعرت أني منجذب لفكرة انضمامي إلى المحفل .

جذبت عباءة والدي من مرقدها.. لقد حان وقت عودتك للحياة فلابد أن يبقى أحدكما على قيد الحياة إما أنتِ أو والدي، ما المانع من أن أجرّبها قبل الذهاب إلى المعبد ؟

ارتديتها وأخذت أتأمل شكلي أمام المرآة، تمنح هيبة لم أكن أتصور أن أحصل عليها، جعلتني أشعر بقوة لم أعتد عليها من قبل، روحانية أكثر منها جسدية، لمحت في شق جيبها الأيسر ورقة تدلت منه، سحبها وقرأت ما فيها:

(اليوم تكون قد اتخذت قرارك، لم تكتفِ فقط بكسر القواعد ولكنك الآن على أعتاب حياة جديدة، تلك الحياة التي حاولت أن أبقيك بعيدًا عنها، لكن بحثك الدائم لم يتوقف ولن يتوقف، احذر من الخائنين يا ولدي ولا تدعهم يعبثون بداخلك حتى تفقد روحك وسط أرواحهم)

كانت الرسالة موجهة من أبي، أعلم كلماته وأشعر بها وأعلم خطه .

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

الساعة الحادية عشر توجهت إلى المعبد، معظم الطرقات المؤدية إلى المعبد خالية إلا من بضع السيارات المتراقصة أنوارها على الطريق .

محيط المعبد هادئ على غير العادة يخيم عليه الصمت وكأنه يشاركنا أجواء الليلة، خالٍ تمامًا حتى من الحرّاس، كل شيءأُعِدَّ بإتقان، دلفت إلى المعبد من بابه وأنا أتلفت يمينًا ويسارًا لم يكن أحدٌ يراني .

علي يسار البهو باب خشبي عالي الدلفتين كان دائمًا مغلقًا، وجدته نصف مفتوح يشير إلى أن أحدًا بالداخل، أخرجت عباءة والدي وارتديتها قبل أن أدفع الباب محاولًا اصطناع دخول درامي..

المكان مزيَّن بالشموع كعادة المحفل واصطف أعضاؤه على اليمين واليسار جاعلين الباب في منتصفهم يترأسهم نوح على عرشه العالي أمام الباب .

القاعة مشابهة تمامًا لنظيرتها بالخارج، نفس الأعمدة المرتفعة، الأرضية الرخامية، كل شيء مماثل تمامًا عدا المقاعد الخشبية والتابوت .

بمجرد أن دخلت حتى توجهت الأنظار إليَّ وأشار لي نوح بأن أتقدم نحوه، قربني منه وبإشارة يده وجّهني إلى يمينه، وقفت صامتًا أتامل وجوه الحاضرين، كان بينهم هشام منصور وابنته سامية يتشحان بالسواد كباقي أعضاء المحفل، نظرة عين هشام كانت تحمل وهنًا لم أرَه في عينيه من قبل .

لا أعلم ماذا دار في الساعات الفائتة، ولم أجب على أي اتصال منذ ذلك الوقت، حتى سامية بدت ملامحها على عكس كل مرة شاحبة الوجه غائرة

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

العينين،بين الحضور استطعت أن أميّز زميل الدراسة وزوج محبوبتي (سمر)،حسام الدين، تجمع الرفاق بعد سباق طويل، لمن ستكون الغلبة ؟! كلهم يبحثون عن إجابة لهذا السؤال، قطع تساؤلاتهم نوح حين وقف على قدميه شارعًا في بدء خطبته .

((بعد أن اجتمع أعضاء المحفل التسعة والثلاثون.. حان الوقت ببدء مراسم قبول العضو الأربعين خليفة والده (معمار بن سمحون)))

(معمار بن سمحون) هل كانوا ينادون أبي بهذا الاسم ؟!

أشار لي (نوح) بأن أتقدم أمامه وأقطع شرياني وأن أتلو القسَم أمامه، حاولت أن أستجمع قواي، وأن امسك بالخنجر الذهبي حين تقدم أحد الأعضاء ليقدمه لي .

يداي مرتعشتان،يمناي تمسك بمقبض الخنجر ونصله يمر على عروق يسراي يقطعها، تمالك نفسي حين رأيت دمي يسال في كاس خمر (نوح) الذي وضع تحت يدي، أشار لي نوح بأن أتجرعه، مذاقه بشع ! ولكني انتهيت منه، أشار لي نوح مرة أخرى بأن أبدأ في تلاوة القسم، شعرت أني دميته التي يحركها كيف يشاء، قاومت ضعفي ووقفت على قدميَّ أحاول أن أسيطر على ارتجاف حنجرتي وبدأت أتلو القسم .

أنهيت القسم، نظر لي نوح في عينيَّ نظرة تعمقت في داخلي كشفت أسرار روحي قبل أن ينطق.

- اكتمل أعضاء المحفل بقبول (جوزيف بن سمحون) عضوًا فيه .

pÅ~åäEÇ=Aó=`~ãpA~ääEê

هكذا أسماني نوح (جوزيف بن سمحون) خلفًا لوالدي، تقدم إليَّ اثنان من أعضاء المحفل يضمدون جرحي، وبدأت ترانيم الاحتفال، قبل أن يوقفها نوح ويقف على قدميه مرة أخرى .

(اصطفت الأكوان واكتمل الجمع، رحل الشر عن محفلنا وقُيّد، لقد حاولنا طيلة الأعوام السابقة على مدار مئات السنين أن نبقي سرنا بعيدًا عن أيدي الخائنين، واجهنا صعابًا أكبر مما قابلناه في الفترة الماضية، تحررنا من شرور كل من حاول السيطرة على المحفل وردعنا كيدهم، لقد حان الوقت لتطهير كياننا من كل من ساعد ومن كل من خان، دماء كثيرة أريقت ودماء أخرى سوف تسال، بحور الدماء التي بدأها الظلام لابد أن تنتهي، اليوم قبلنا عضوًا جديدًا بيننا واليوم أيضًا سوف نخلص المحفل من الخائنين .)

أشار نوح بيده فتقدَّم اثنان ممن كانوا يقفون بجواره نحو (هشام منصور) و(حسام الدين) ليقتادوهما إلى منتصف القاعة، حاولا جاهدين أن يصرخا ولكن الهواء في صدريهما أبى أن يخرج، ارتعش جسداهما وهما يعلمان أن مصيرهما قد حُسِم، أما سامية فلم تستطع أن ترى أباها بين يدي قاتيله وانهارت على الأرض مغشيًا عليها، أكمل نوح كلامه :

-(لقد تآمر إبراهام بن حيفا على المحفل ووافق أن يدنس يده ويضعها في أيدي من خان قبله (حامن دو) وافق أن يقتل ويسفك دم أخيه وساعده في ذلك رائف بن مانع الذي وافق أن يضحي بصديق عمره ويتحمل ذنبه طوال عمره، أيها السادة لقد أنشأ أسلافنا ذلك المحفل ليكون منارة

fb/groups/Sa7er.Elkotob/

pÂ~åâÉÇ=Äó=`~ãpÂ~åâÉê

للعلم وللفلسفة وللدين لا للقتل والخيانة، الحكم قد صدر بأن يذوقوا مثل ما فعلوا، وجزاء من خان القتل).

كانت كلمته تلك إشارة الإعدام، ما إن قالها حتى كبلت أيدي هشام منصور وحسام .

كان قتلهما أسرع من البرق، ضُرِبَ عنقاهما كما يضرب البرق الأرض، سقطت رأساهما تحملان آخر تعابير وجههما إلى الآخره، دماؤهم غطت الأرض، والحاضرون في صمتٍ، تبع نوح المشهد بكلماته .

- هذا جزاء من خان عهدنا وفرَّق وحدتنا.

*****

((ابني العزيز، عندما تقرأ تلك الكلمات أكون أنا قد فارقت الحياة، أردت أن أخبرك بما خبأتُه عنك طوال سنين حياتك، مذكراتي لك هدية، مهما كانت مشكلاتك التي تواجهها أثق أني ربيتك لتكون شجاعًا لتواجهها، ونصيحتي لك أن تكون أنت سيد قرارك لا تجعل الأقدار تلعب بك أو تقودك كيف تشاء، أنا الآن بين يدي ملك رحيم ادعِ لي، تحياتي لك، وقُبلة حانية على وجنة أمك (سمر) حبي الأول وحبي الأبدي))

توقيع

جوزيف بن سمحون

كبير المحفل السادس بعد المائة

pÅ~ăăEÇ=Aó=`~ãpA~ăăEê

عندما تتبدل المصائر وتصبح نهاية النفق أكثر ظلمة من بدايته، ندرك حينها أننا سلكنا طريقا لم يكن مكتوب لنا أن نسلكه.

تسيرنا الأقدار وتغير معتقداتنا وأفكارنا

تتكاتف كل قوى الكون لتعيدنا في الطريق المرسوم.

يوسف سيد المصري.. واحد من الذين سيرتهم الأقدار لتكشف له حقائق لم يكن يعرفها وتغير دفة حياته عن مسارها الذي اعتاده.

ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
إشترك بجروب ساحر الكتب
ليصلك كل جديد وحصرى

ISBN 9789777780070
9 789777 780070
ن للنشر والتوزيع

pÅ~ãäEÇ=Aó=`~ãpA~ãäEê